الباب الرابع
أحياء آل البيت ميدان السيدة زينب
كان اسمه ميدان : قناطر السباع !

المصريون من أكثر شعوب المسلمين حبًا وعشقًا لآل البيت . . وأى دارس لأسماء المصريين يجد أن المصريين يفضلون إطلاق أسماء آل البيت على أولادهم ، فهم فى أسماء الأولاد يفضلون أسماء : محمد . . أحمد . . مصطفى . . وعلى . . وحسن . . وحسين . . وفى أسماء البنات يفضلون أسماء : عائشة . . فاطمة . . خديجة . . زينب . . آمنة . . سكينة . . نفيسة . . وهكذا .

والمصريون من عشقهم لآل البيت تحلقوا حول كل من وصل منهم إلى مصر ، وعاشوا حولهم ، وتقربوا منهم طلبًا لعلمهم وذكرياتهم ونصائحهم ، وفتاواهم فى الدين والدنيا . .

ولقد أتى لمصر أحياء عديدين من آل محمد رسول الله ﷺ ، ومنهم من جاءوا ولكن بعد استشهادهم . . والتف المصريون حول الأحياء . . فلما ماتوا حولوا بيوتهم إلى مساجد ، يؤدون فيها فريضة الصلاة . . وأما من جىء بهم شهداء حولوا قبورهم إلى مشاهد مثل الإمام الحسين زينة شباب أهل الجنة . . وتحولت هذه المساجد وتلك المشاهد إلى مركز للحياة أقام حولها وبالقرب منها جمع غفير من المصريين . . وظلوا ـ ومازالوا ـ يحيون ذكرى هؤلاء وهؤلاء . . ذكرى ميلادهم . . أو رحيلهم .

والذين أتوا مصر وعاشوا فيها أو جىء برؤوسهم شهداء لتدفن فى ثراها كثيرون هم : السيدة زينب . . والسيدة عائشة والسيدة نفيسة والسيدة سكينة والسيدة رقية والسيدة

فاطمة النبوية . . والحسين وزين العابدين . . ونضيف إليهم حى الأزهر الذى ينسب إلى فاطمة الزهراء . .

وتحولت مساجد آل البيت فى مصر إلى مراكز سكانية وأحياء عامرة بالحياة والسكان يستمد منها السكان البركة والخير. .

واللافت للنظر أن معظم أحياء آل البيت النبوى الشريف فى القاهرة المحروسة تتجاور وتأخذ شكل مثلث متكامل الأضلاع . .

فحى السيدة عائشة فى الشرق . . وحى السيدة سكينة فى الغرب وبين جامع السيدة عائشة فى الشرق ، وجامع السيدة سكينة فى الغرب ، نجد جامع السيدة نفيسة . . ومدافن السيدة نفيسة للمسلمين ، وإذا تركنا هذا المثلث المبارك واتجهنا غرباً نجد تلول زينهم جنوبى موضع القطائع وقلعة الكبش . وهذا المثلث يقودنا غربًا إلى حى السيدة زينب وجنوبًا نجد المدبح وشارع وميدان السلخانة فالمدبح نفسه . . وبين سكة المدبح وشارع السلخانة نجد جامع سيدى على زين العابدين . . وغير بعيد عن شارع سيدى حسن الأنور . . وفى أقصى شرق القاهرة وعلى حافة تلال الدراسة وجبل المقطم نجد حى الأزهر والحسين : الأخ والأخت . . الإمام الحسين . . وفاطمة الزهراء . وغير بعيد عنهما مسجد فاطمة النبوية . .

تعالوا لنطوف بأحياء آل البيت ، ونروى كيف نشأ الحى ومتى . . وما حكاية صاحب المسجد أو صاحبته ، وما حكايتها مع مصر والمصريين ، ثم كيف تطور كل حى إلى أن صار معلمًا من معالم القاهرة المحروسة .

تعالوا نبدأ بالسيدة زينب وحى السيدة زينب . .

أم الهواشم ... يا طاهرة

حول جامع السيدة زينب نشأت حياة حافلة بالنشاط . . ربما بسبب الموقع الجغرافى المميز ؛ فالجامع فى موقع يبدأ منه شارع بورسعيد ـ الآن ـ الخليج المصرى سابقًا . . وقبل أن يصبح هذا مجرد شارع من أطول شوارع المحروسة . . كان يجرى مكانه الخليج المصرى ، الذى حمل أحيانًا اسم خليج أمير المؤمنين . . هذا الموقع لم يفقد أهميته على مر السنين ؛ فقد عاش الموقع فترة ذهبية عندما كان الخليج يمر أمامه . . وكان فى هذا الموقع قنطرة السباع التى أنشأها الظاهر بيبرس وموقعها بميدان السيدة زينب الحالى أى أمام مسجد السيدة زينب ، الذى لم يكن معروفًا فى ذلك الوقت ؛ إذ لم يذكره المقريزى فى خططه وهو المتوفى عام ٨٤٥هـ ، بينما بنى الظاهر هذه القنطرة فى هذا الموقع فوق الخليج خلال حكمه ، الذى استمر من ٦٥٨ هـ إلى ٦٧٦هـ .

وقد نصب بيبرس على هذه القنطرة سباعًا من حجارة ، وكان السبع هو شعار بيبرس ؛ لذلك عرف حى السيدة زينب أيام بيبرس باسم « خط قناطر السباع » . والطريف أنه عندما أنشأ الناصر محمد بن قلاوون الميدان السلطانى فى منطقة بستان الخشاب ، جنوب شرقى قصر العينى ، ادعى أنه يتضرر من العبور فوق قناطر السباع لارتفاع القنطرة . . أمر بإعادة بنائها وأزال السباع ، غيرة منه من ذكر السلطان بيبرس ، وكان هذا عام ٧٣٥هـ كما ذكر المقريزى ، وكما قال محمد كمال السيد محمد فى كتابه أسماء ومسميات من مصر القاهرة ص ـ ١٠٢ . وقد تولى هدم القناطر وإعادة البناء الأمير علاء الدين المروانى والى القاهرة ، ولكن السلطان الناصر أعاد بناء السباع من

جديد لما اشتد انتقاد الناس لتصرفه هذا . وظلت السباع قائمة حتى شوه صورتها الشيخ محمد المعروف بصائم الدهر . وهو نفس الرجل الذى شوه وجه تمثال أبى الهول . وقد أنشأ الناصر محمد هذا ٧ قناطر على الخليج المصرى .

المهم أن موقع حى السيدة زينب يحيط به من الشمال : الهياتم والناصرية ، ومن الشرق بركة الفيل واللبودية ، ومن الغرب حى المنيرة وشارع المبتديان . وأبرز شوارع السيدة زينب : شارع الخليج المصرى ، وفى غربه شارع الوفدية . أما جامع السيدة زينب فيتوسط شوارع الحى العريق ، وبجواره قسم شرطة السيدة وشارع السيدة زينب ، ومنه تتفرع حارة الحوض المرصود ؛ حيث المستشفى الشهير للأمراض الجلدية والتناسلية ، وهذه الحارة توصلنا إلى بركة الفيل ؛ حيث جامع حسن باشا طاهر ثم شارع نور الظلام الذى يؤدى إلى حى الحلمية . ومن أبرز معالم الحى العريق نجد المدرسة السنية للبنات وبجوارها حارة مونج ، أحد أبرز علماء الحملة الفرنسية بقيادة بونابرت على مصر عام ١٧٩٨م ، وفى هذه الحارة البيت الذى اتخذه بونابرت مقرًا للمجمع العلمى المصرى . وفيه تم تجميع المعلومات التى ظهرت فيما بعد على شكل كتاب « وصف مصر » ، الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية . وغير بعيد عنه نجد شارع قدرى وشارع عبد المجيد اللبان وشارع السد البرانى .

وخلف قسم الشرطة نجد شارع مراسينه ، الذى يؤدى إلى الحوض المرصود وجامع لاشين السيفى . ومن أبرز معالم حى السيدة مبنى دار الهلال ، الذى أقامه جورجى زيدان وتصدر عنها عدة مجلات أبرزها المصور . . والكواكب . . والهلال . . وروايات الهلال . . وحواء . . وسلاسل من مجلات الأطفال . . إلخ . وغير بعيد عن دار الهلال وفى شارع محمد بك عز العرب ـ سابقًا شارع المبتديان ـ نفسه كانت هناك مدرسة دار العلوم التى أصبحت كلية ، قبل أن تنقل من هذا المكان ويتحول مكانها إلى حديقة عامة تحمل اسم حديقة دار العلوم . . وفى الشارع نفسه هناك مستشفى حكومى كبير، هو مستشفى المنيرة العام وكان اسمه مستشفى الملك ، وعلى حدود حى السيدة زينب مع حى المنيرة نجد المعهد العلمى الفرنسى ومدرسة الحقوق الفرنساوية ، كما جاء فى خريطة مصلحة المساحة عام ١٩١٢م ثم مدرسة المعلمين العليا . وكان يفصل بين حى السيدة وحى المنيرة خط سكة حديد حلوان ، الذى يمر بشارع منصور .

وغير بعيد عن مركز شرطة السيدة زينب نجد متحف نابوليون . . وبالقرب منه بيت السنارى الشهير ، ويبدو أن متحف نابوليون الوارد ذكره فى هذه الخريطة هو مقر بيت إبراهيم كتخدا السنارى فى حارة مونج ، الذى كانت تجتمع فيه مجموعة علماء الحملة الفرنسية . على الضفة الشمالية لشارع السيدة ، بينما جامع السيدة على الضفة الجنوبية غير بعيد عن شارع الكومى ، الذى هو امتداد شارع خيرت المؤدى إلى ميدان لاظ أوغلى .

ومن أشهر من عاشوا فى هذا الحى العريق الأديب الكبير يحيى حقى ، الذى كتب روايته الخالدة « قنديل أم هاشم » التى تحولت إلى فيلم سينمائى شهير.

وسكان الحى يطلبون شفاعة السيدة زينب ويطلقون عليها عدة أسماء . . فهى أم هاشم . . وهى بنت بنت النبى ﷺ . . والصلاة فى مسجدها الذى هو من أحب المساجد إلى قلوب كل المصريين حلم يرنو إليه كل المصريين ، بل إن معظم الذين كانوا يحضرون للقاهرة من الأقاليم كانوا يحرصون على زيارة مسجدين من مساجد آل البيت ، الأول هو مسجد سيدنا الحسين ، والثانى هو مسجد السيدة زينب ، ولسانهم يشدو بأعذب الكلمات . . « وشى لله يا ست يا أم هاشم . . » .

وإذا عدنا إلى قناطر السباع التى عرفت بعد ذلك باسم قنطرة السيدة زينب ، نجد أنها كانت تتكون من قنطرتين إحداهما توصل بين شارع الكومى وشارع السد . وكانت الثانية توصل بين شارع الكومى وشارع مراسينه . وفى عام ١٨٩٨م تم ردم الجزء الأوسط من الخليج المصرى ؛ تمهيداً لإنشاء أول شبكة من خطوط الترام . . وبردم الخليج اختفت تلك القناطر تحت ميدان السيدة زينب ، الذى دخل فيه جزء من شارع الكومى ، وجزء آخر من شارع مراسينه .

وقد وسع هذا الميدان فى عام ١٣١٥هـ ـ ١٨٩٨م ، وعند عملية التوسع ، اكتشفت واجهة جامع السيدة زينب ، الذى كان الوالى العثمانى على باشا الوزير قد جدده عام ٩٥٥هـ ـ ١٥٤٧م ، ثم أعاد تجديده الأمير عبد الرحمن كتخدا عام ١١٧٠هـ ـ ١٧٦٨م .

ومنذ اكتشاف واجهة الجامع فى القرن ١٩ أصبح يطلق على ميدان قناطر السباع اسم ميدان السيدة زينب ، وكان حى قناطر السباع قد ازدحم بالسكان فى القرنين ١٧ و١٨م .

تعالوا نقرأ ما كتبه صاحب الخطط التوفيقية على باشا مبارك ، قرب نهاية القرن ١٩ . . يقول : كان بقرب جامع السيدة قره قول جديد يعرف بقره قول السيدة [أى قسم شرطة السيدة بتعبير العصر] وكان يقيم فيه معاون ثُمن درب الجماميز وحكيم الثمن ـ أى مفتش الصحة ـ وكذلك بيت الصحة وعسكر الطلمبة .

وبهذا الشارع من جهة اليمين هناك حارة واحدة وأربعة دروب هى على هذا الترتيب : حارة السيدة . . وهى كبيرة جدًا ، وبداخلها جملة فروع وبها جامع قديم يعرف بجامع تميم الرصافى ، وتجاه هذا الجامع سبيل الست فطومة عامر ، ودار ورثة محمد بك لاظوغلى ، ودار محمد أغا لاظ وغيرها ثم درب السناجرة ودرب شكنيمة ثم درب القمح ثم درب المدبح .

أما جهة اليسار فنجد فيها درب البهلوان يسلك منه السالك إلى بركة البغالة ، وبداخله دار الأمير سلامة باشا مفتش هندسة ديوان الأشغال العمومية وبها حديقة . وكان به حديقة مجاورة لبركة الحمصانى المعروفة اليوم ـ على أيام على باشا مبارك ـ باسم بركة البغالة ، ثم حارة تعرف بحارة البغالة . وبهذا الشارع جامع قديم يعرف بجامع الزعفرانى .

ويوجد قبالة زاوية الحبيبى سبيل بجوار بوابة السيدة ، وبهذا الشارع سبيل السلطان مصطفى الذى أنشأه عام ١١٧٢هـ ، وجعل فوقه مكتباً لتعليم الأطفال وصار ـ الآن ـ من المكاتب الأهلية الشهيرة .

وأول من بنى فى خطة السيدة هم التتر ، والوافدية من أصحاب الأمير جنكلى ابن محمد بن البابا صاحب درب ابن البابا كما يقول المقريزى . وهكذا ـ يضيف على مبارك ـ ينتهى وصف هذا الشارع الطولى الذى يبتدئ من قره قول باب الشعرية وينتهى عند بوابة مسجد السيدة زينب .

مياه النيل ..
تصل إلى السيدة زينب

كانت مياه النيل تصل إلى حى السيدة زينب من أكثر من مكان . . المكان الأول : هو الخليج المصرى الذى كان ينقل مياه النيل من بدايته عند فم الخليج على سيالة الروضة ، وهو الخليج الذى أقيم فوقه عديد من القناطر أى الجسور أو الكبارى ؛ ليعبر الناس فوقها بين أحياء الضفتين ، وكان السقاءون يملأون قربهم المصنوعة من جلد الماعز من هذا الخليج ويوزعونها إما على عربات الكارو أو فوق ظهور الحمير والبغال والجمال .

المصدر الثانى عندما كانت مياه النيل تدخل إلى بركة الفيل من الموضع الذى كان يعرف بالجسر الأعظم (ميدان السيدة زينب الآن) ، وظلت بركة الفيل موجودة حتى ردمت فى أوائل القرن العشرين .

وفى منطقة بركة الفيل شارع يعرف بالحوض المرصود ، نسبة إلى حوض من الحجر الصوان الأسود كان موضوعًا فى فجوة بمساحة بالقرب من شارع قلعة الكبش ، وكان معداً لسقى الدواب . فلما جاءت الحملة الفرنسية ، خلعت هذا الحوض وأرسلوه إلى فرنسا ، ولكن الإنجليز استولوا عليه قبل أن يصل إلى فرنسا ، وأرسلوه إلى لندن وهو محفوظ الآن بمتحف لندن .

أما بركة الفيل فكانت واقعة بين القاهرة الفاطمية ومصر ، أى مصر عتيقة ، وكانت مساحتها كبيرة جدًا ولم يكن حولها أى مبانٍ . . ولما أنشأ جوهر الصقلى القاهرة واختط

خارج باب زويلة حارة السودان وحارة اليانسية لم يعد يفصل هاتين الحارتين عن البركة غير أرض فضاء . . ولكن فى عام ٦٠٠هـ عمرت منطقة البركة وكثرت مبانيها ، وصارت مساكنها من أجمل مساكن مصر المحروسة . وكان السلطان يركب إلى بركة الفيل للتنزه فيها بالليل .

ومن أبرز ما كان فى هذه المنطقة بستان الخشاب ومكانه الآن شارع المبتديان والبرجاس إلى النيل من الشمال ، ومن الغرب نهر النيل ، ومن الجنوب مستشفى قصر العينى وشارع بستان فاضل ، ومن الشرق شارع الخليج . وينقسم البستان إلى قسمين : شرقى يقع بين شارع المنيرة وشارع بور سعيد ؛ وكان يعرف بالمريس حيث كان يسكنه طائفة من السودان يشربون المزر ، وهو نوع من البوظة يسميه أهل السودان المريسة .

هذا عن الحى والميدان والشوارع المحيطة به والداخلة فيه ، ولكن ماذا عن السيدة زينب صاحبة الضريح والمسجد . . بل ماذا عن مسجد السيدة زينب نفسه .

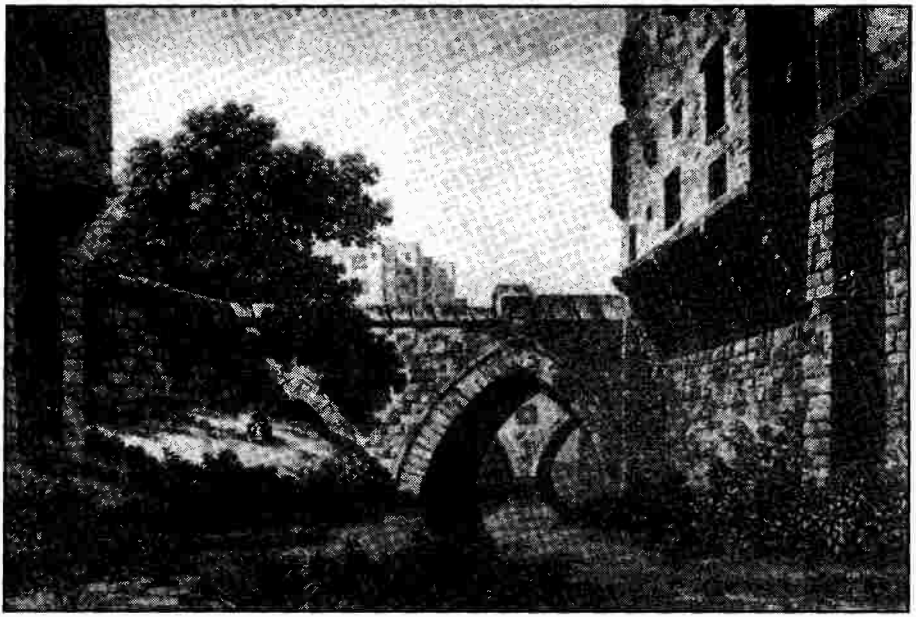

قناطر السباع فى ميدان السباع سابقاً الآن ميدان السيدة زينب بناها للمرة الأولى السلطان الظاهر بيبرس . .

والصورة كما تبدو هذه القناطر عام ١٧٩٨م أيام الحملة الفرنسية على مصر .

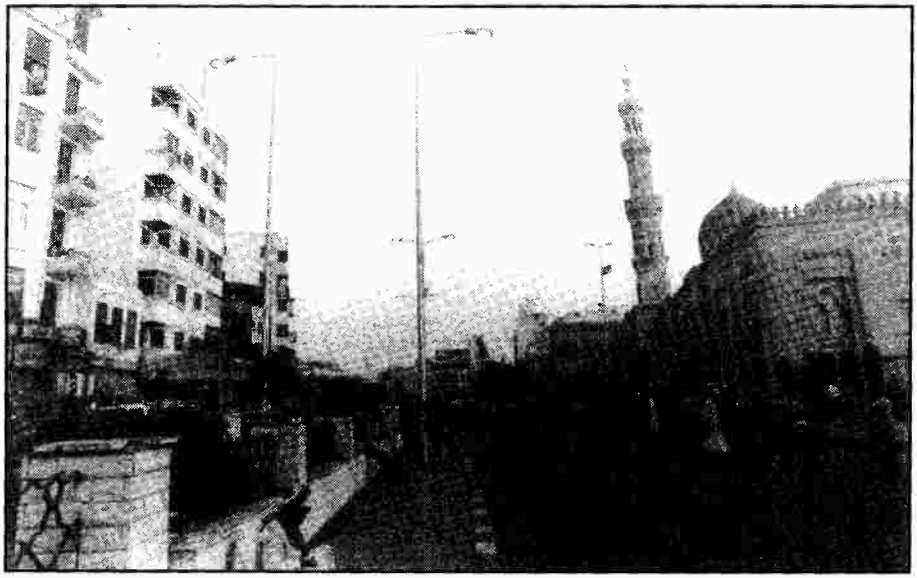

ميدان السيدة زينب الآن والمسجد أبرز ما فيه .

الجنرال جاسبار مونج العالم الفرنسى الذى أطلق اسمه على حارة بجوار المدرسة السنية فى حى السيدة زينب .

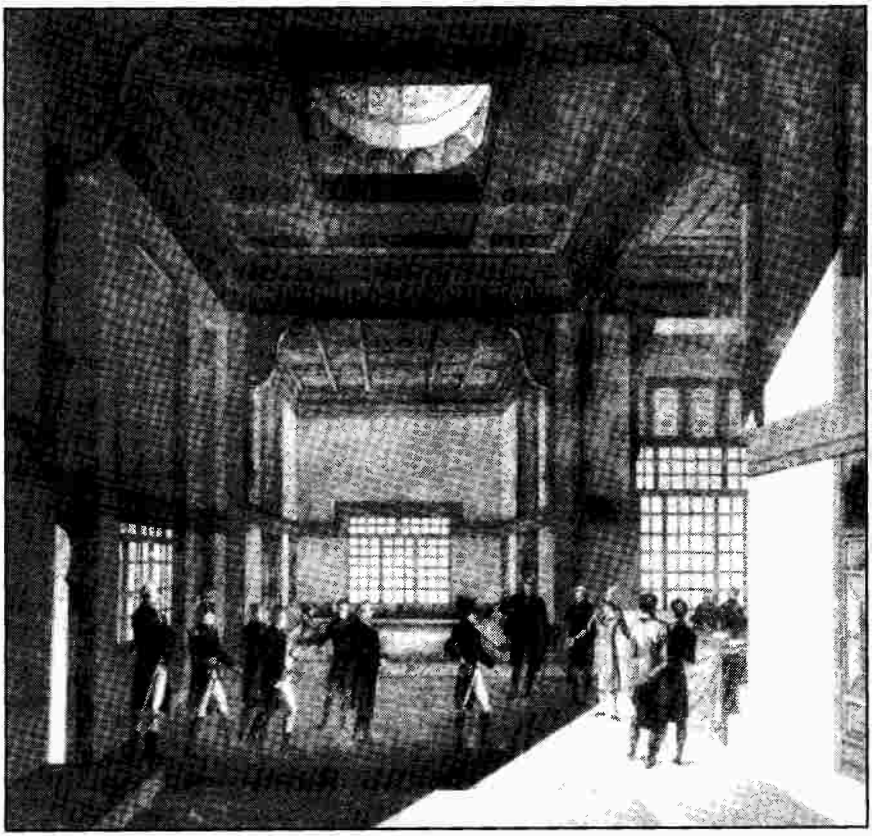

الجنرال بونابرت داخل المعهد العلمى الفرنسى فى حارة مونج بالسيدة زينب يوم ٢١ ديسمبر ١٧٩٨م .

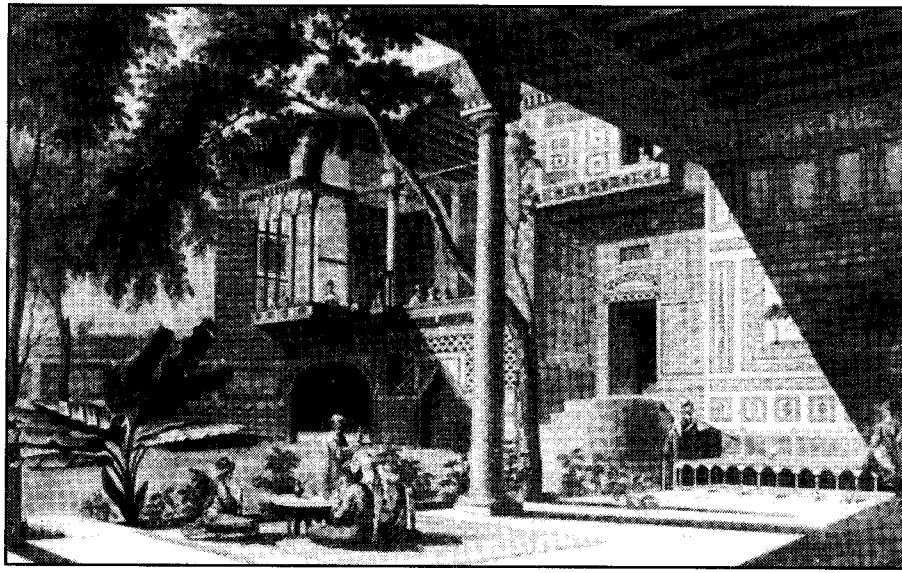

قصر قاسم بك فى حى السيدة زينب بريشة رسامى الحملة الفرنسية .

مبنى مصلحة الخزانة . . وكان أيضاً مقراً لمصلحة الإحصاء القديمة بشارع منصور بالقرب من السيدة زينب .

تمثال لاظوغلى فى الميدان الشهير الذى يحمل اسمه فى بداية شارع مجلس الشعب حيث الوزارات الرئيسية . .

وهو من مناطق حى السيدة زينب .

مبنى دار الهلال كان أكبر مبنى لدار صحفية فى مصر أقيم فى حى السيدة زينب عند نهاية شارع المبتديان .

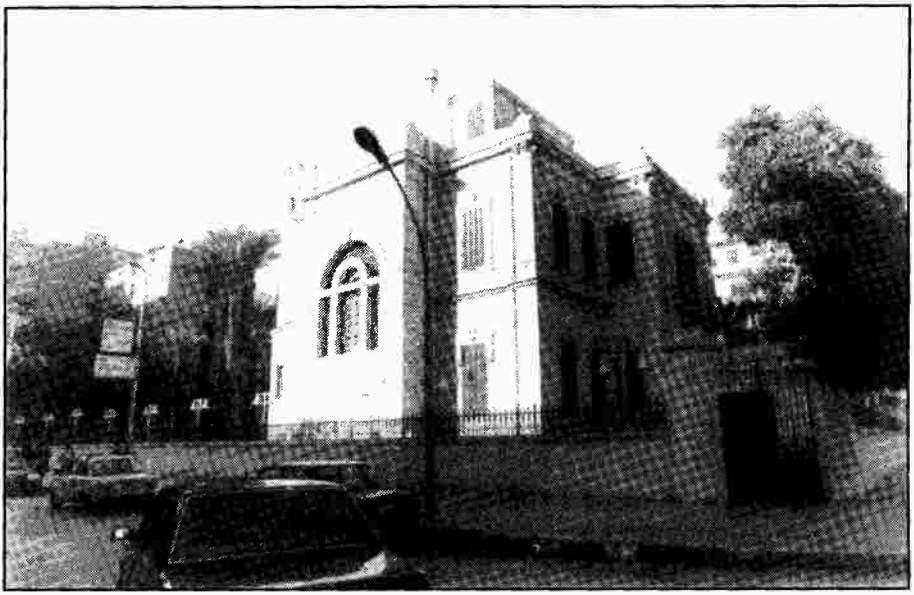

من أهم مبانى حى السيدة زينب بيت الأمة الذى شهد أحداث ثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول .

ضريح سعد زغلول بشارع منصور بالقرب من السيدة زينب وهل جاء هذا الطراز الفرعونى صدفة .

حكاية أم هاشم

●● السيدة زينب هى بنت بنت النبى ﷺ ، كما يحلو للمصريين أن يطلقوا عليها . . أبوها هو الإمام على بن أبى طالب . . أمها هى السيدة فاطمة البتول ، بنت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؛ أى إن جدها لأمها هو الرسول الكريم ﷺ ، وجدتها لأمها هى أولى أمهات المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد أولى زوجات الرسول الكريم ﷺ وشقيقاها هما الحسن والحسين .

ولدت السيدة زينب فى السنة السادسة للهجرة فى بيت الرسول ﷺ بالمدينة المنورة ، والرسول الكريم ﷺ هو الذى أطلق عليها اسم زينب إحياءً لذكرى ابنته التى توفيت فى السنة الثانية للهجرة بعد أن طعنها أحد المشركين فى أعقاب غزوة بدر وكانت حاملاً . وتوفى الرسول ﷺ عنها وهى فى الخامسة من عمرها . وماتت أمها السيدة فاطمة الزهراء بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ بستة أشهر . . . وهكذا عاشت زينب طفولة حزينة بفقد جدها الرسول الكريم ﷺ وفقد أمها السيدة فاطمة .

وزوجها أبوها الإمام على بن أبى طالب من ابن عمها عبد الله بن جعفر ، وكان لها وهى فى المدينة مجلس علمى حافل تقصده النساء وكانت بحق عقيلة بنى هاشم . وأنجبت السيدة زينب ٣ بنين : جعفر . . وعلى . . وعون ، وبنتين هما : أم كلثوم وأم عبد الله .

وعاشت السيدة زينب عصر الصراع السياسى بين والدها الإمام على ومعاوية ابن أبى سفيان ، وتابعت معاركه الحربية من الجمل إلى صفين ومع الخوارج فى النهروان ،

ولقى والدها مصرعه عام ٤٠هـ ثم مات أخوها الحسن عام ٤٩هـ . ورحلت مع أخيها الحسين إلى العراق واستشهد فى معركة كربلاء وساقوها مع الأسرى ، وعبر موكب الأسرى ساحة المعركة ، فرأت أشلاء الشهداء مبعثرة فصرخت «يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء . . هذا الحسين بالعراء مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء . يا محمداه هذه بناتك سبايا وذريتك مقتلة . . » .

ومضى موكب الأسرى والسبايا إلى دار إمارة الكوفة ، ووقف الأمير عبد الله ابن زياد يعبث برأس الشهيد الحسين بقضيب من حديد ، وعندما دخلت على هذا الأمير وجلست دون أن يأذن لها ، سأل من هذه وهى لا تجيب ، ولكن إحدى الإماء أجابت : هذه زينب بنت فاطمة . ودار حوار بليغ بين السيدة زينب وابن زياد تصدت فيه لهجومه على رجال الحسين . . وعندما لمح ابن زياد صبياً هو على بن الحسين أمر بقتله ، فأخذته عمته السيدة زينب بين ذراعيها ، وهى تقول : يا ابن زياد حسبك منا . أما رويت من دمائنا ، وهل أبقيت منا أحداً . ثم انحنت على الصبى واحتضنته لتمنع قتله . ولما رأى ابن زياد ذلك قال لكأنها تود لو أنى أقتلها معه . . وأمر بإرسال الغلام على زين العابدين بن الحسين مع الأسرى إلى دمشق ، حيث مقر الحكم الأموى بعد أن وضعوا رقبته ويديه فى الحديد. ووصلوا دمشق وأدخلوا على يزيد بن معاوية فلما رأى رأس الحسين بن على ، لعن أمير الكوفة بن مرجانة عبد الله ابن زياد . . وأمر بدخول الأسرى والسبايا ودار حوار طويل بين يزيد بن معاوية والسيدة زينب . ثم أمر بعودتها إلى المدينة المنورة مع أهلها .

وأرادت السيدة زينب أن تحيا بجوار جدها رسول الله ، ولكن حكام بنى أمية وجدوا فى وجودها فى المدينة ما يحرك الناس ضدهم. وطلب منها والى المدينة المنورة أن تغادرها وتختار أى منطقة أخرى لتقيم فيها ، ففضلت أن ترحل إلى مصر ووصلتها فى شعبان عام ٦١هـ ، وخرج والى مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى يستقبلها على رأس جموع غفيرة من المصريين ، ومضى بها مسلمة إلى داره حيث أقامت بها حوالى عام لم تبرح فيها الدار حتى توفيت عام ٦٢هـ .

هذه حكاية السيدة زينب . . ولكن ماذا عن حكاية الجامع ؟

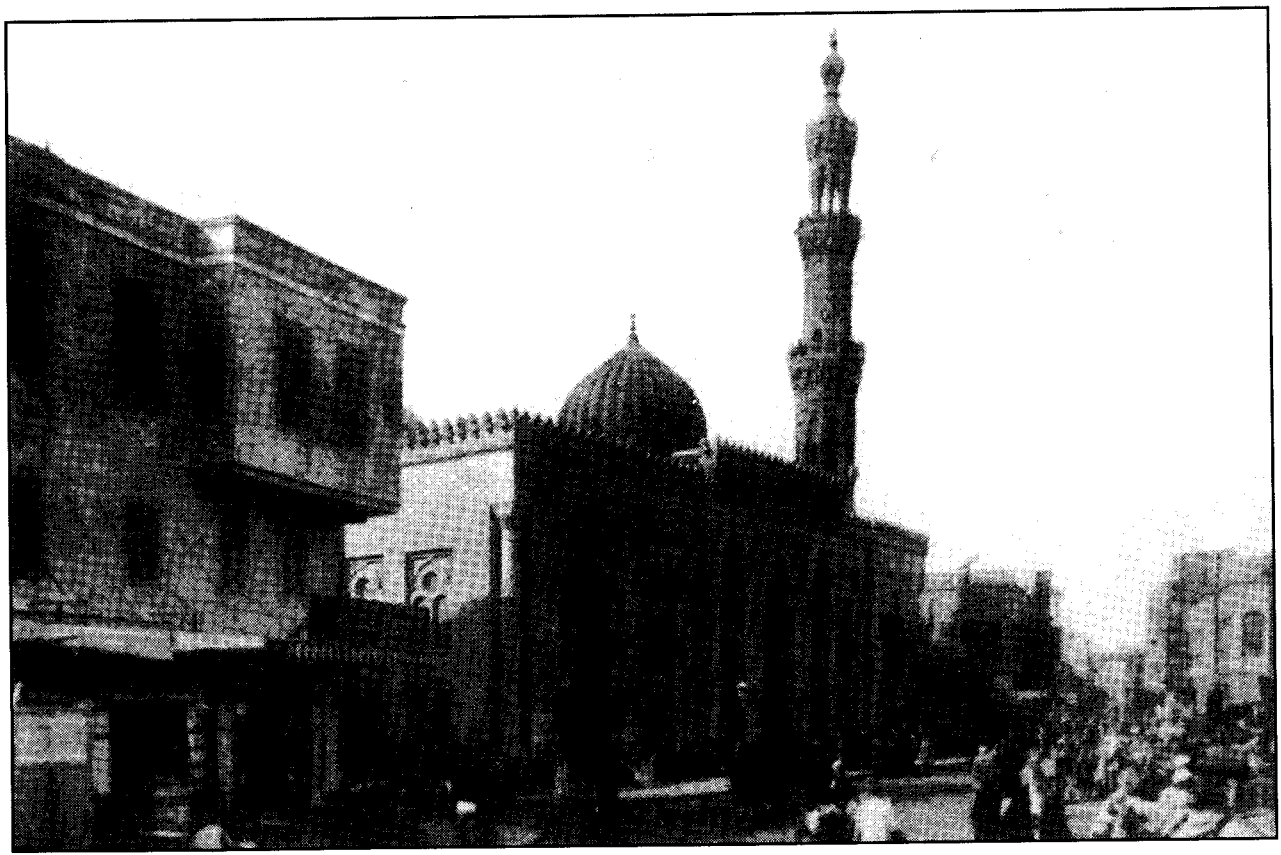

مسجد السيدة زينب فى بداية القرن العشرين وبجواره الأجزاخانة الباريزية .

حكاية جامع السيدة زينب :

عند توسيع ميدان قناطر السباع بعد ردم الخليج المصرى عام ١٨٩٨م ، اكتشفت واجهة جامع السيدة زينب الذى كان الوالى العثمانى على باشا الوزير قد أقامه عام ١٥٤٧م . . ثم جدده الأمير عبد الرحمن كتخدا . وفى عام ١٧٦٨م تغير اسم الميدان من ميدان قناطر السباع إلى ميدان السيدة زينب ، بل أصبح اسم الحى كله هو حى السيدة زينب .

وفى عام ١٩٤٠م أقامت وزارة الأوقاف المسجد الحالى ، وكان يتكون وقتها ـ كما تقول الدكتورة سعاد ماهر فى سفرها الكبير «مساجد مصر » ـ من سبعة أروقة موازية للقبلة يتوسطها صحن مربع مغطى بقبة . . ويقابل القبلة قبة ضريح السيدة زينب . . ويتقدم المسجد من الواجهة الشمالية رحبتان ، بهما مدخلان يفصل بينهما مستطيل تعلوه شخشيخة . وفى الطرف الشمالى الغربى يوجد ضريح سيدى العتريس ، ثم أضافت الوزارة مساحة أخرى للمسجد الأصلى تصل إلى ٥٤٤ متراً مربعاً . ثم أضافت الوزارة مساحة مماثلة تماماً عام ١٩٦٩م للمسجد الأصلى وبمساحته نفسها ؛ بحيث أصبحت الإضافة الأولى تفصل بين المسجد الأصلى وهذه التوسعة . ومع الإبقاء على المحراب القديم تم وضع محراب جديد . ويقابل ضريح السيدة فى التجديد الثانى رحبة مماثلة للصحن . وفى الجهة الغربية مدخلان أحدهما يتوسط التجديد الأول والثانى فى التجديد التالى ، وقد قام المهندس حسن حلمى بإعادة إنشاء المسجد عام ١٩٤٠م . والطريف أن التوسعة والإضافة التى تمت عام ١٩٦٩م تولاها المهندس محمد حسن حلمى ابن المهندس السابق !

وقد وضعت مقصورة من النحاس الأصفر وستر من حرير مزركش فوق ضريح السيدة زينب ، الذى يعلوه قبة شامخة . . وعندما أهدى زعيم طائفة البهرة الهندية مقصورة مذهبة وضعت فوق مشهد رأس الإمام الحسين ، تم نقل المقصورة القديمة لمشهد الحسين إلى المسجد الزينبى .

وبجوار ضريح السيدة زينب ، وفى الركن الشمالى الغربى للجامع الزينبى ، يوجد ضريحان متجاوران للشيخ العتريس ، والشيخ عيدروس ، والضريحان يعلوان مقبرتين موجودتين فى ساحة واحدة مفروشة بالرخام ، ومحاطة بسياج من حديد متصل بسياج الرحبة التى عليها قباب الأضرحة . . وعليها سقف واحد من خشب . . وعلى كل مقبرة مقصورة من حديد وقبة من خشب .

وقد جدد هذا الضريح سعيد باشا والى مصر ، وتولى عملية التجديد أدهم باشا عندما تمت عمارة المسجد . . وأعيد تجديد الضريحين بعد تجديد سعيد باشا ، عندما قامت وزارة الأوقاف بتجديد المسجد كله عام ١٩٤٠م ، وتحيط بالمقبرتين مقصورتان من نحاس مخرم جميل الصنع .

ولكن من هو الشيخ العتريس ؟

هو الشيخ محمد العتريس ابن أبى المجد بن قريش بن محمد ، وينتهى نسبه إلى زين العابدين بن الحسين بن على . . أى هو شقيق إبراهيم الدسوقى صاحب المسجد الكبير فى دسوق ، وهو ثالث إخوة الشيخ إبراهيم الدسوقى . وقد ولد العتريس فى نهاية الدولة الأيوبية وحارب مع أخيه إبراهيم الدسوقى الصليبيين والتتار مع الملك الأيوبى السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، كما حارب مع سلاطين المماليك وبالذات قطز وبيبرس .

وكان العتريس كثير التردد على مسجد السيدة زينب ، وقد أمر بأن يدفن بجوار مسجدها ؛ إذ إن نسبه ينتهى إلى ابن أخيها على زين العابدين .

أما الشيخ عيدروس فهو وجيه الدين أبو المراحم عبد الله الحسينى العلوى العيدروس ، الذى جاء إلى مصر عام ١١٣٥هـ ، وينتهى نسبه إلى الإمام جعفر الصادق ثم إلى الحسين بن على وقد ولد باليمن . وجاء إلى مصر وهو فى السادسة والعشرين ، ثم سافر إلى الحجاز عام ١١٦٩هـ ، وسكن فى الطائف وعاد إلى مصر عام ١١٧٤هـ. وحج ١٧ مرة وألف أكثر من ٧٠ مؤلفاً شعراً ونثراً . وتوفى عام ١١٩٢هـ ودفن بمقام الشيخ العتريس بجوار مسجد السيدة زينب . .

ولا ننسى أن نقول إن وزارة الأوقاف عادت فى أواخر القرن العشرين ، وأضافت توسعة ضخمة على المسجد الزينبى من الناحية الغربية والناحية الجنوبية ، وأخلت كل الإشغالات التى كانت تحيط بالضلع الغربى للمسجد .

ومنذ جدد المسجد الزينبى كانت تعمل به «حضرة» للسيدة كل ليلة أحد . . ومقرأة كل ليلة أربعاء . . ومولد كل عام يستمر أسبوعين ، تجتمع فيه الناس وتجمع النذور والهدايا ويتحول مولد السيدة زينب إلى موسم تجارى وفرصة لهو كبيرة للشباب ، أما العواجيز فمنهم من يدخل حلقات الذكر التى تحييها مختلف الطرق الصوفية التى تأتى من كل مدن وقرى مصر . ويغلق تماماً ميدان السيدة أمام كل وسائل المواصلات ويصبح سوقاً رائجة لبيع كل شىء من حلوى المولد إلى لعب الأطفال والطراطير وألعاب البهلوان . ويصل زوار المسجد الزينبى خلال فترة المولد إلى ٣ ملايين نسمة ، يقضون الليل كله فى التجول بالسرادقات التى تنظمها الطرق الصوفية ، ولا ينافس مولد السيدة زينب إلامولد سيدنا الإمام الحسين بالقاهرة ، ومولد السيد البدوى فى طنطا ومولد سيدى إبراهيم الدسوقى فى دسوق وسيدى عبد الرحيم القنائى فى قنا . .

الأم والابن فى حى واحد :

الأزهر والحسين اسمان كبيران لحى واحد . . الأول يرتبط بالقاهرة المحروسة نفسها . فالجامع الأزهر هو أول ما أنشأه جوهر الصقلى عندما تم له فتح مصر ، حتى قبل أن يبدأ فى إنشاء القصر الشرقى الكبير ، الذى سيصبح مقراً للحكم وسكناً للخليفة الفاطمى . . وطبقاً للفلسفة الإسلامية فى تخطيط المدن ، كان المسجد الجامع فى العاصمة هو نقطة الدائرة التى تلتف حولها وتحيط بها كل المساكن والأحياء ، ومن هنا كان «الأزهر» المسجد والمدرسة هو مركز المدينة ، وكان شارع القصبة ـ المعز لدين الله الآن ـ هو قلب القاهرة . . فيه كل الأسواق ومراكز الأعمال ، ومن هنا نجد أن «الأزهر» قامت حوله مراكز العمل والتجارة والحياة فى العاصمة .

وظل الأمر كذلك طوال عهود الدول التى حكمت مصر منذ الدولة الفاطمية إلى

الأيوبية ، رغم انتقال مركز الحكم إلى القلعة . . وأيضاً فى العصر المملوكى بنوعيه المماليك البرجية ثم البحرية . واستمر ذلك حتى خلال الحكم العثمانى لمصر ؛ فقد ظل الأزهر مركز الثقل السياسى والثقافى ؛ خصوصاً عندما كان الأزهر ـ المكان والمعنى ـ هو الملجأ والملاذ للشعب عندما كان الحاكم : سلطانا أو والياً أو باشا يشتد فى ظلمه ، كان الشعب يلجأ إلى الأزهر بعلمائه ومكانته ؛ بل تحول ليصبح مركزاً للثورة ضد الظلم على طول مراحل تاريخه . .

ولأن الأزهر المدرسة والجامعة كان ملتقى الدارسين على المذاهب الأربعة ، كان مكاناً لسكنى هؤلاء الدارسين ، ومن هنا عرفنا معنى كلمة المجاورين . وكان هؤلاء يأتون للدراسة به من أركان العالم الإسلامى حتى الآن .

وعلى مرمى البصر من الأزهر، الجامع والجامعة ، يقف شامخاً المسجد الحسينى ؛ أى إن العلاقة مستمرة بين الأزهر والسيدة فاطمة الزهراء . . وبين ابنها الإمام الحسين . وهكذا أصبح ـ الأزهر والحسين ـ حياً واحداً للدراسة والتجارة ، بل ظل المركز التجارى الأول فى العاصمة المصرية، ولهذا أقيمت فيه وحوله كل الوكالات التجارية «الوكايل» وكل الخانات والأسبلة . . بل وكان كل خليفة أو حاكم يحرص على أن يقيم فيه وحوله مسجده الكبير. . ولم يشذ عن ذلك إلا السلطان بيبرس ، والسلطان حسن . . ترى ما حدود هذا الحى الآن وما أهم شوارعه، على الأقل منذ القرن ١٩م عندما أصبح مركزاً للثورة الشعبية ضد قوات الحملة الفرنسية ، واضطرت هذه القوات أن ترتكب خطأها الأكبر ،عندما اقتحمت الأزهر بخيولها وجنودها لردع الثوار ومطاردتهم عندما لجأوا إليه يطلبون الاحتماء به .

بحكم ضيق المكان ، وتركز الأعمال تجارة وصناعة فى هذا الحيز الضيق ، لا نجد تغيراً كبيراً يذكر فى طبيعة المكان. وهذا انعكس على سعر الأرض فى هذا الحى. بل ليس سراً أن سعر المتر فى الحسين والأزهر أكبر من سعر المتر فى حى الزمالك أو فى المهندسين الآن!!

وحول المسجدين الجامعين «الأزهر والحسين» ، نجد من الغرب : الحمزاوى حيث تركزت تجارة الأقمشة والملابس . ونجد التربيعة . . ومجموعة السلطان الغورى وكل حى الغورية . . وبين الغورية ومجموعة الغورى والجامع الأزهر ، نجد وكالة وجامع محمد بك أبو الدهب ، وشارع الصنادقية وجامع السلطان الأشرف . وجنوب الغورية ، نجد سوق المغاربة والعقادين وجامع الفكهانى ثم السكرية .

وطبقاً لخريطة مساحية مطبوعة فى بداية القرن العشرين ، نجد من الشرق : كفر الطماعين والدراسة والغريب وباب الغريب ، وجنوبه باب درب المحروق ودرب المحروق . ونجد شرق كل هذا تل قطع المرأة ؛ أى تلال الدراسة الآن التى تفصل بين العمران وبين مناطق المقابر ؛ حيث مقابر قايتباى ومقابر الخلفاء وكل القرافة الشرقية وقرافة المجاورين للمسلمين ، وشارع قرافة باب الوزير وجبانة باب الوزير للمسلمين . وشرق كل هذا كله حيث يمر خط السكة الحديد ـ خط المحاجر ـ حيث المدفن ، الذى أقامه الخديو توفيق لنفسه ولفرع أسرته ، وفيه دفن هو وابنه الخديو عباس حلمى وكذلك الأمير محمد على توفيق ، الذى شغل موقع ولى العهد مرتين ، وزوجات وبنات الخديو توفيق . وفى الحديقة الخارجية تم دفن العلامة المصرى الدكتور على مصطفى مشرفة . . وهذا المدفن الآن بقبته الكبيرة يقع على طريق الأوتوستراد ، وشرق هذا كله نجد جبل المقطم . .

وللحقيقة فإذا كان جبل المقطم هو الذى منع امتداد القاهرة شرقاً . . فإن تلال الدراسة قامت بالدور نفسه إلى حد كبير . . وإذا كان جبل المقطم طبيعياً ، فإن تلال الدراسة ما هى إلا عمل من صنع الإنسان . . وسبب ذلك أنه عندما كانت الأمطار الرعدية تسقط على جبال البحر الأحمر ، كانت هذه المياه تندفع عبر الوديان لتصل إلى القاهرة على شكل سيول جارفة تجتاح كل ما أمامها . وهنا طلب الحاكم بناء سد صناعى فى هذا الموقع ليحمى القاهرة من هذه السيول . . وقد كان . .

وعندما زالت دولة الخلافة الفاطمية ، نبشت قبور الخلفاء ، وألقيت كل مخلفاتها

فوق هذه التلال الصناعية . . وعندما أنشأ الأمير جهاركس الخليلى أحد أمراء السلطان برقوق ، وكان هذا الأمير هو أمير الخيل . . كان مكان خان الخليلى هو ضريح القصور الفاطمية ، ولما كان جهاركس الخليلى متعصباً ضد الفاطميين ، أخرج عظام الخلفاء وأسرهم من مقابرهم وألقاها فوق تلال الدراسة ، وكانت تسمى وقتها « كيمان البرقية » ليفسح مكانا ، يبنى عليه الخان الذى حمل اسمه حتى الآن وهو خان الخليلى . وكان هذا الخان يعرض المعادن المكفتة بالفضة والذهب ، والأخشاب المطعمة بالعاج والصدف والأقمشة الموشاة بالذهب والفضة والزجاج المموه بالمينا ، ومنتجات الجلود والخيام والسجاد . وفى عام ٩١٧هـ هدم السلطان الغورى هذا الخان وجدده .

أما البرقية فهم فصيلة من الجنود الذين ساهموا فى فتح مصر على يد جوهر الصقلى ، وهم من برقة «فى ليبيا الآن» .

ولم يكن هذا الخان إلا واحداً من حوالى ٢٠٠ خان ، ووكالة للتجارة ، شهدتها القاهرة ، كان هو أبرزها مع خان الحمزاوى وخان جعفر ووكالة قوصون ووكالة الغورى .

وعندما بنى جوهر سور القاهرة جعل له ٨ أبواب ، كان باب البرقية من أهم هذه الأبواب ، وكان يقع تحت تلال البرقية المقابلة لشارع الدراسة . وفى عام ١٩٥٧م عندما بدأ رفع التلال الموجودة بين القاهرة وجبل المقطم ، ظهر شرقى مبانى الجامعة الأزهرية باب البرقية الذى بناه بدر الجمالى ، وكان اسمه باب التوفيق ، كما تدل الكتابة عليه وعلى تاريخ البناء عام ٤٨٠هـ . .

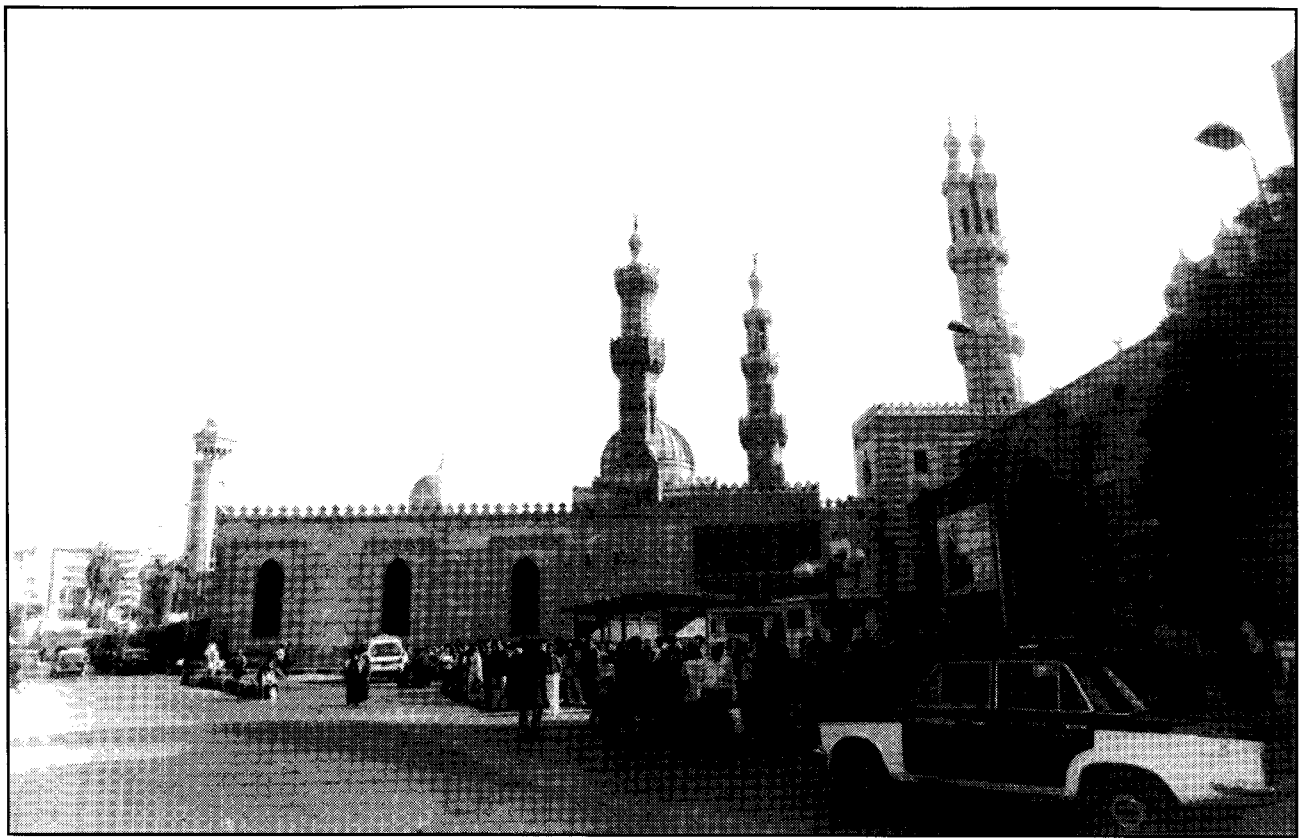

ميدان الجامع الأزهر ومنارة الغورى ثنائية الرأس ومأذنة قايتباى . . وفى أقصى اليمين جزء من جامع أبو الدهب وإلى اليسار برج ساعة مشيخة الأزهر القديمة .

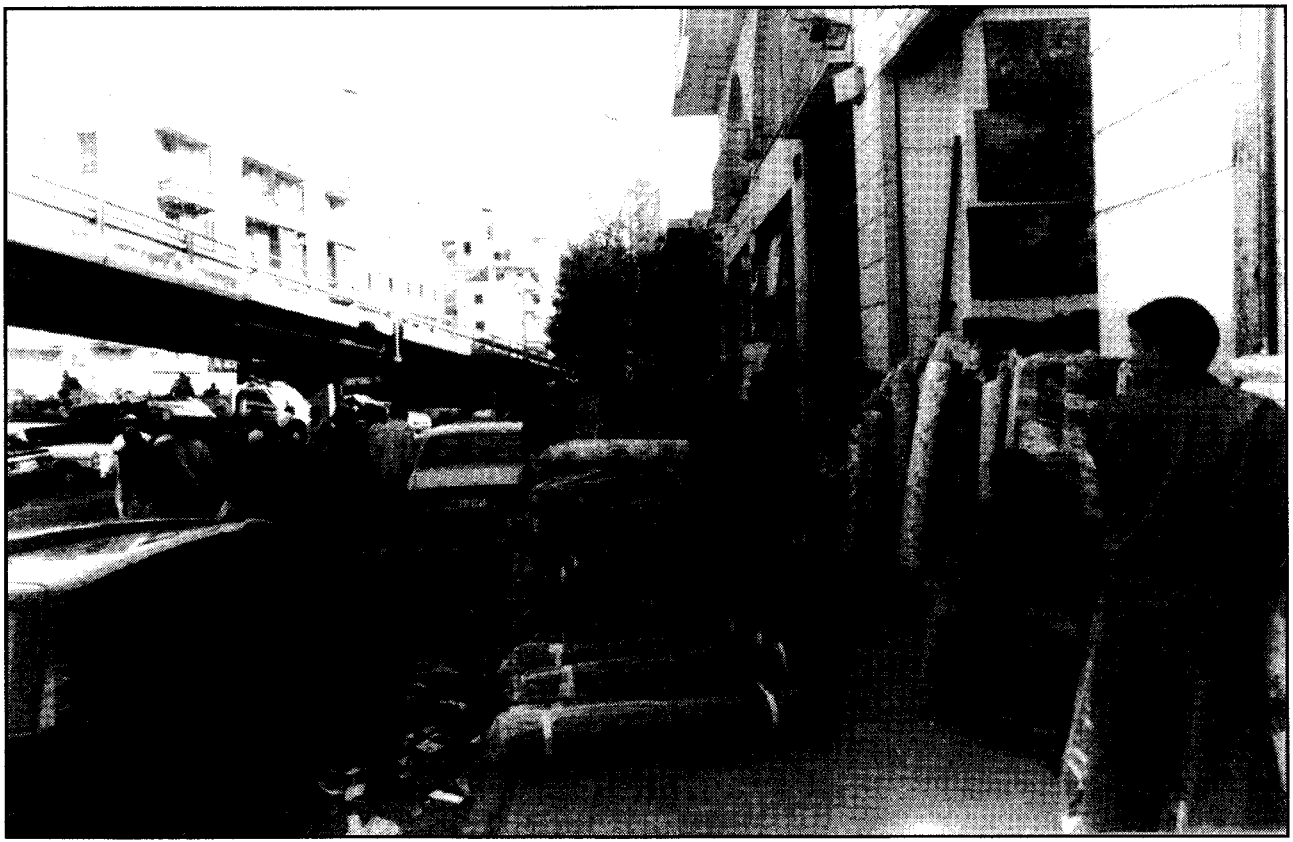

شارع الأزهر مركز تجارة الأقمشة والمانيفاتورة فى مصر كلها . . وليس فى القاهرة فقط .

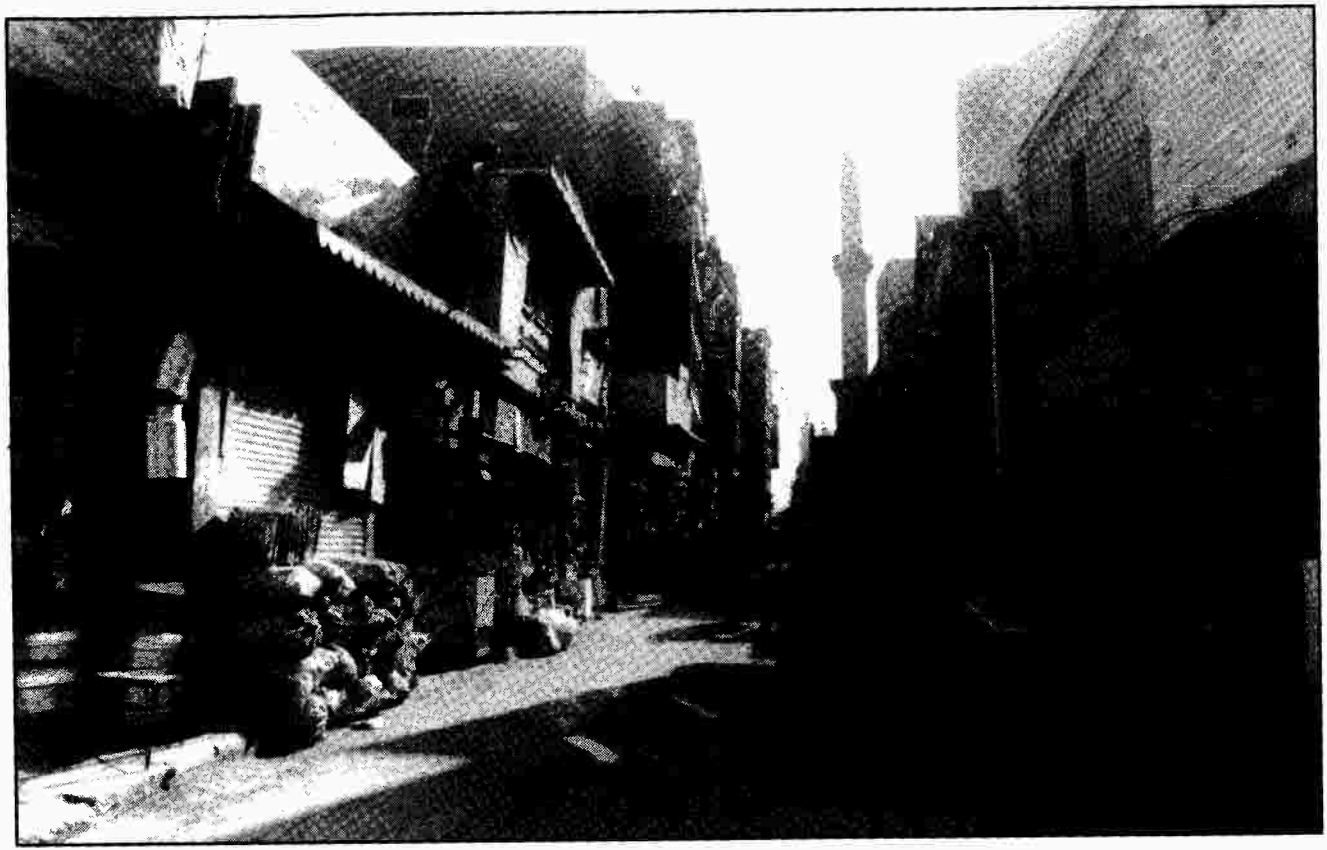

منارة مسجد سيدنا الحسين أبرز مبانى الحى العتيق .

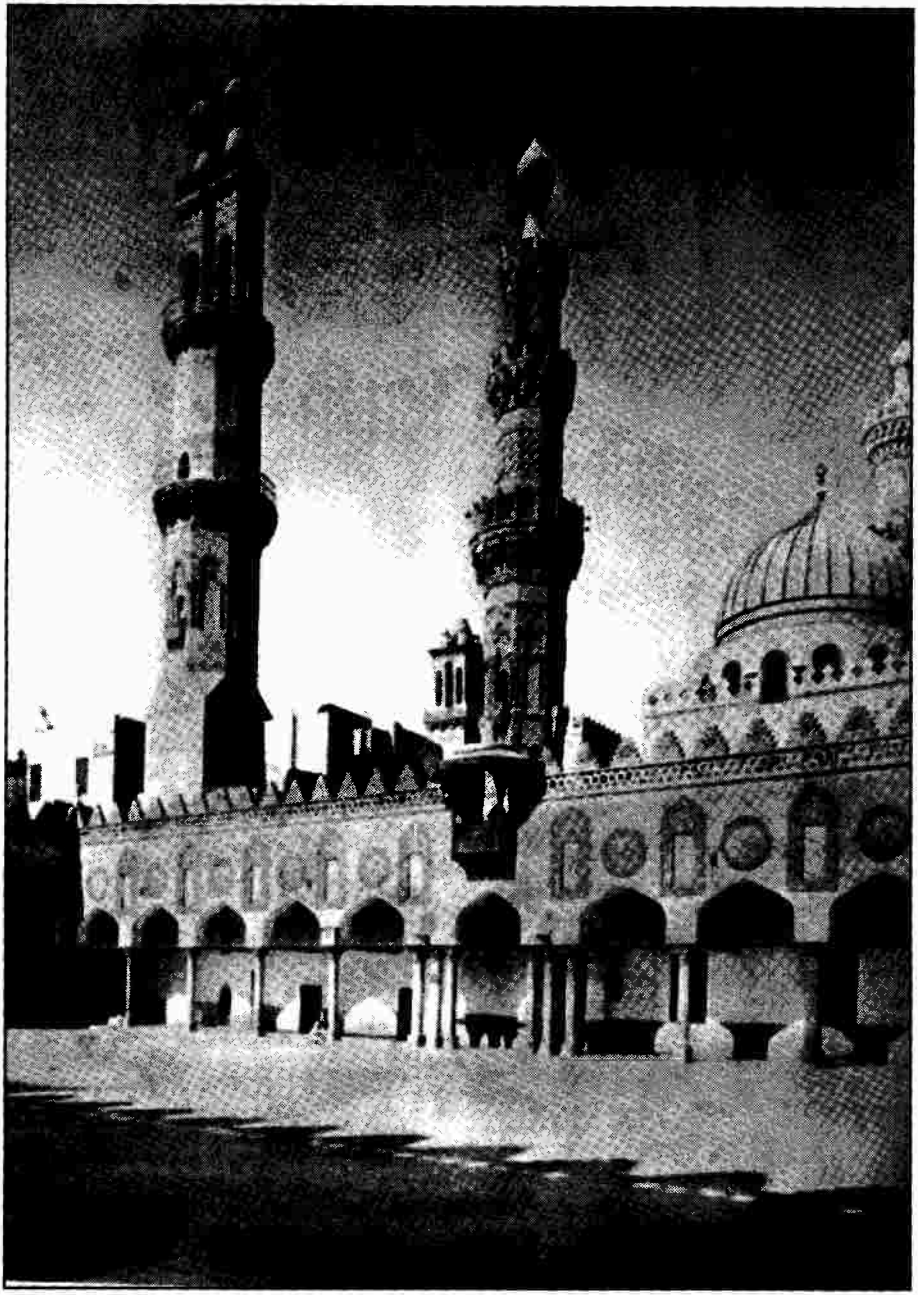

الجامع الأزهر ومنارتا قايتباى والغورى .

الجامع الأزهر . . للعبادة والدراسة صورة نادرة أيام حكم الخديو إسماعيل .

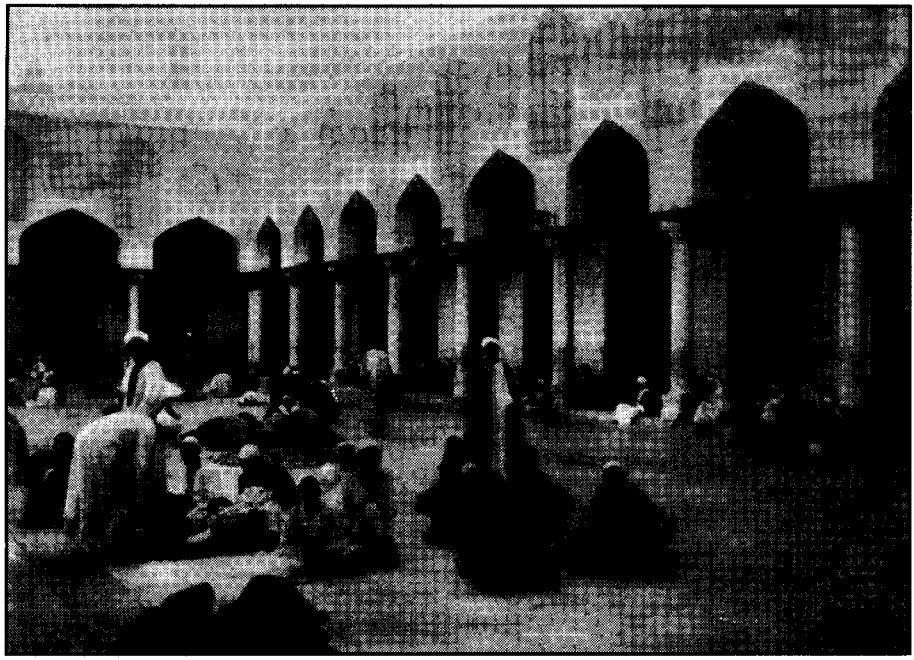

صحن الجامع الأزهر عام ١٧٩٨ خلال حملة بونابرت على مصر .

المدخل الرئيسى للجامع الأزهر كما كان يبدو خلال حملة بونابرت ومن هذا الباب أقتحمت قوات الاحتلال الجامع الأزهر فى محاولة لإجهاض ثورة القاهرة الأولى .

الصورة بعد نصف قرن :

وبعد حوالى نصف قرن من خريطة بداية القرن العشرين ، نجد شارع جوهر القائد الذى ينتهى إلى الحسين ، وخان الخليلى قد أصبح المركز التجارى ، والذى يخلط العامة بينه وبين شارع الموسكى أو كما كان يقال عليه : شارع السكة الجديدة . . ونجد شارع الشيخ محمد عبده يتوسط بين حى الدراسة وحى الغورية، أى جنوب الجامع الأزهر. وجنوب شارع محمد عبده نجد شارع جمال الدين الأفغانى ؛ أى هنا يلتقى الثائران الأستاذ الأفغانى وتلميذه الشيخ محمد عبده، والشارعان يتصلان من الغرب بشارع المعز لدين الله الفاطمى . . وتتقلص تلول أو تلال قطع المرأة ، ولكن يظل باب درب المحروق الذى يخرج من درب المحروق وامتداده شارع النبوية ؛ ليصل إلى شارع باب الوزير كما تتقلص أكثر تلال الدراسة .

وفى خريطة طبعت عام ١٩٨٦م ، نجد تطورًا تخطيطيًا هائلاً ، خصوصاً بعد أن تم فتح طريق صلاح سالم ليفتح الطريق أمام تعمير شرق القاهرة . ويتم شق طريق عبر تلال الدراسة ليمتد طريق جوهر القائد ، ويعبر هذه التلال إلى شارع صلاح سالم ثم إلى شارع باب الوزير ويصبح شارع المنصورية ـ وهو الاسم الأول الذى أطلقه جوهر القائد على عاصمته الجديدة ، قبل أن يغيره المعز لدين الله نفسه عندما وصل إلى القاهرة . يصبح شارع المنصورية من أهم شوارع الدراسة ، ويعتبر فتح طريق صلاح سالم خطوة تعميرية هائلة ، شجع بعد ذلك على فتح طريق النصر . وواكب ذلك امتداد شارع رمسيس عبر مدينة نصر وامتداد شارع السكة البيضا ؛ أى إن كل هذا فتح الطريق لكى تمتد القاهرة شرقًا ، بل لتقفز إلى أعلى جبل المقطم نفسه .

وتزداد أهمية شارع الأزهر بعد فتح هذا المحور المرورى ، فيقام كوبرى معدنى علوى يربط بين ميدان الأوبرا ويعبر ميدان العتبة إلى شارع الأزهر ، ويهبط عند شارع المعز . وعندما تزداد حركة التجارة والمرور ، ويصبح شارع الأزهر محورًا مروريًا مهمًّا يربط وسط القاهرة بشرقها ، ويعتبر محورًا صاعدًا يؤدى شمالاً إلى مدينة نصر ، ثم إلى مصر الجديدة

وجنوبًا إلى عين الصيرة ومصر القديمة . عندما يحدث ذلك كان لابد من تسهيل استخدام هذا المحور المرورى الحيوى ، فكان قرار شق وحفر نفقين : الأول يصعد من الأوبرا إلى شارع صلاح سالم ، والثانى يهبط من شارع صلاح سالم إلى ميدان الأوبرا وتم فتح النفقين لمرور السيارات فى شهر نوفمبر ٢٠٠١م . أما شارع الخليج المصرى فيصبح اسمه شارع بورسعيد ، تكريما لتلك المدينة الباسلة وصمودها أيام العدوان الثلاثى على مصر فى أكتوبر ١٩٥٦م .

تعالوا نتحدث عن أبرز المنشآت فى هذا الحى المشترك . . الأزهر والحسين .

الأزهر : المبنى والمعنى والثورة :

كما نعلم . . فإن كل دولة أقامت لها نظامًا جديداً فى مصر ، كان لها مسجدها الجامع. هكذا كان الوضع فى أول دولة إسلامية فى مصر ، عندما أنشأ عمرو ابن العاص مسجده فى الفسطاط ، ثم عندما أنشأ أحمد بن طولون مسجده فى القطائع ، إلى أن جاء جوهر القائد ، فأنشأ الأزهر ليكون جامعاً ومدرسة للمذهب الشيعى الفاطمى. وأتم بناء هذا الجامع يوم ١٧ شعبان عام ٣٥٦هـ ـ ٦ يوليو ٩٦٩م، وعندما قدم المعز لدين الله إلى القاهرة نزل فى القصر الذى بناه جوهر يوم ٧ رمضان ٣٦٢هـ ـ ٩٧٣م ، فصارت مصر دار خلافة ، بعد أن كانت دار إمارة طوال العهود الإسلامية منذ فتحها عمرو بن العاص ، ثم فى الدولة الأموية فالدولة العباسية ، وإن شهدت مصر حركات استقلالية ، سواء فى الدولة الأموية أو العباسية.

وقد بدأ جوهر بناء الجامع الأزهر يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى عام ٣٥٩هـ ـ ٩٧٠م ، وانتهى العمل وأقيمت فيه أول جمعة يوم ٧ رمضان ٣٦١هـ ـ ٩٧٢م وعرف بجامع القاهرة ، وكانت له ثلاثة أبواب فى جدرانه القبلية والبحرية والغربية .

وشهد الجامع عمليات ترميم وإصلاح وإضافة عديدة ، بدأها العزيز بالله ابن المعز. ثم جدده الحاكم بأمر الله عام ٤٠٠هـ ـ ١٠٠٩م ، وبقى من إضافة الحاكم باب بمصراعين من خشب به حشوات منقوشة . كما عنى بإصلاحه الخليفة الفاطمى المستنصر بالله ، وفى عام ١١٢٥م أمر الخليفة الآمر بأحكام الله بعمل محراب من الخشب لهذا الجامع وعظمه من خشب قرو تركى.

وبقى الجامع على حاله إلى أن أضاف الخليفة الحافظ لدين الله بين عامى ١١٢٩ و١١٤٩م إضافة رواق ، يحيط بالصحن من جوانبه الأربعة وقبة ، وتعتبر هذه القبة أقدم واحدة نقشت من الداخل . وبقى من العمارة الفاطمية بالمسجد عدة أجزاء أبرزها المحراب الكبير بنقوشه وكتاباته ، وهو المحراب القديم للمسجد ، وظل محتجباً لمدة ٧ قرون حتى تم كشفه يوم ١٠ أكتوبر ١٩٣٣م ، واكتشفه العلامة حسن عبد الوهاب

كما ذكر فى كتابه العظيم تاريخ المساجد الأثرية ، وأزال الكسوة الخشبية التى كانت تكسو طاقيته فظهرت نقوشه وكتاباته .

وكان أول درس ألقى بالجامع الأزهر فى شهر صفر عام ٣٦٥هـ ـ ٩٧٥م ، عندما جلس القاضى على بن النعمان وأملى مختصر أبيه فى فقه الشيعة ، وكان هذا بداية الأزهر كجامعة إسلامية . وفى عام ٩٨٨م طلب الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس من الخليفة العزيز بالله أن يصل رزق جماعة من الفقهاء ، فقرر لهم مرتبات وأعد دارًا لسكناهم بجوار الجامع الأزهر. فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع وعقدوا حلقات دروسهم بعد الصلاة وإلى صلاة العصر ، وكان عددهم ٣٥ فقيهاً . كما ألف ابن كلس كتاباً فى فقه الإسماعيلية كان يجلس لقراءته بنفسه. ولما بنى العزيز بالله مسجده المعروف بجامع الحاكم عام ٣٨٠هـ ـ ٩٩٠م ، أذن للفقهاء الموجودين بالجامع الأزهر أن يعقدوا حلقات دروسهم فيه . .

ولكن فى عصر الدولة الأيوبية ، أمر صلاح الدين الأيوبى بإبطال الخطبة من الجامع الأزهر عملاً بالمذهب الشافعى ، وهو منع إقامة خطبتين للجمعة فى مدينة واحدة اكتفاء بإقامتها بجامع الحاكم . وظلت خطبة الجمعة بالجامع الأزهر معطلة لمدة ١٠٠ عام إلى أن أعادها السلطان الظاهر بيبرس.

ويعتبر العصر المملوكى عصراً ذهبياً للأزهر ؛ فقد تبارى السلاطين المماليك فى العناية بالجامع الأزهر ، وكان أول تعمير له فى عصر السلطان الظاهر بيبرس ، الذى أعاد الخطبة إليه ، وأقيمت صلاة الجمعة من جديد بالأزهر يوم الجمعة ١٨ ربيع الأول ٦٦٥هـ ـ ١٢٦٦م . وذكر المقريزى أن الأمير بيليك الخازندار أقام مقصورة كبيرة بالجامع وعين بعض الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الإمام الشافعى ومحدثاً للحديث النبوى. ومن ذلك الوقت بدأ الأزهر يشارك بقية مدارس مصر والقاهرة فى أداء رسالته العلمية .

وعلى أثر زلزال عام ١٣٠٢م ، اهتم الأمير سلار بتعمير الجامع ، ثم توالت

عمليات الإصلاح فأصلحه محتسب القاهرة عام ١٣٢٤م ، والأمير الجامدار عام ١٣٥٩م الذى أنشأ سبيلاً وكتاباً عند الباب القبلى للجامع .

ولما تولى الأمير بهادر أصدر الملك الظاهر برقوق مرسوماً بأن من يموت من مجاورى الأزهر دون وريث ، تؤول ثروته إلى مجاورى الجامع ، وفى عام ٨٠٠هـ ـ ١٣٩٧م هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة ، وبنى مكانها منارة جديدة أطول منها ، وبقيت هذه المنارة إلى أن هدمت فى شوال ٨١٧هـ ـ ١٤١٤م بسبب خلل حدث بها .

ثم تم بناء منارة حجرية أخرى فوق الباب الغربى للجامع ، بعد أن تم هدم هذا الباب وأعيد بناؤه بالحجر ، وأقيمت المنارة الجديدة فوق عقد الباب ، ولكن هذه المنارة هدمت عام ١٤٢٤م وأعيد بناؤها . . وأكدت الحوادث أن المنارة القديمة للجامع ظلت قائمة فوق الباب الغربى إلى أن جدده السلطان قايتباى ، وأقام منارة بجواره عام ١٤٦٨م وهى من ثلاث دورات . وفى عام ١٤٧٦م زار قايتباى الجامع وأمر بترميمه . وفى عام ١٤٩٥م أذن قايتباى للخواجه مصطفى بن الخواجه رستم بإجراء إصلاحات عديدة . وفى عام ١٥١٠م ، أمر السلطان الغورى ببناء منارة للجامع ، هى المنارة ذات الرأس المزدوجة .

ومن أبرز المنشآت بالجامع الأزهر : المدرسة الطيبرسية على يمين الداخل ، وجعلها الأمير علاء الدين طيبرس مسجداً لله تعالى زيادة فى الجامع ، وقرر بها دروساً للفقهاء الشافعية . . والمدرسة الأقبغاوية وهى على يسار الداخل ، وبها الآن مكتبة الأزهر ، وكلاهما من أمراء الناصر محمد بن قلاوون . والمدرسة الجوهرية فى الطرف الشرقى البحرى عند باب السد للجامع الأزهر ، أنشأها الأمير جوهر القنقبائى ، خازندار الملك الأشرف برسباى ، ودفن بها عام ١٤٤٠م .

وفى العصر العثمانى أجريت عدة ترميمات للأزهر ، وأول من عمره من الولاة العثمانيين الوالى السيد محمد باشا عام ١٥٩٥م ، والوزير حسن باشا والى مصر عام ١٦٠٥م ، وفى عام ١٧٣٥م أنشأ الأمير عثمان كتخدا زاوية للعميان خارج الأزهر ،

وقد تم هدمها بعد ذلك وعمر رواق الأتراك ورواق الأفغانيين وزاد فى رواق الشوام . . وفى عام ١٧٤٩م أهدى الوزير أحمد باشا كور والى مصر مزولتين للأزهر، مازالتا به .

أما أكبر عملية ترميم وتعمير حدثت للجامع الأزهر ، فهى تلك التى قام بها الأمير عبد الرحمن كتخدا عام ١١٦٧هـ ـ ١٧٥٣م ، فقد أضاف للجامع الأزهر مساحة كبيرة عبارة عن الأروقة الموجودة الآن خلف المحراب القديم ، وهى التى جددها الخديو توفيق عام ١٨٨٨م ، وباق بها محراب من الرخام الدقيق ، وفوقه قبة وبجواره منبر خشبى وبجواره محراب صغير هو محراب الدردير ، ومحراب آخر حديث أحدثته إدارة حفظ الآثار العربية . وفى النهاية القبلية لهذا الإيوان يوجد باب يؤدى إلى قبة أنشأها الأمير عبد الرحمن كتخدا عاشق الآثار الإسلامية المصرية الذى جدد الكثير منها فى كل القاهرة . . وقد دفن عبد الرحمن كتخدا تحت هذه القبة عام ١١٩٠هـ ـ ١٧٧٦م ، وأمامها سبيل ، ثم باب الصعايدة الذى أنشأه نفس الأمير كما أنشأ منارة بجواره ، وأنشأ أيضاً باب الشوربة فى الطرف الشرقى البحرى وأنشأ بجواره منارة .

كما جدد الأمير عبد الرحمن كتخدا واجهة المدرسة الطيبرسية ، وأنشأ الباب الغربى الكبير والرئيسى للأزهر وهو المحلى بكتابات وزخارف دقيقة من الحجر والرخام ، يسترعى النظر فيها براعة الخطاط الذى كتبها بشكل زخرفى بارع ونادر . وبهذا الباب الكبير تم ضم المدرستين الطيبرسية والأقبغاوية إلى الأزهر ، كما ذكر الجبرتى . وقد تم هدم الكتاب والمنارة وفكت مبانى هذا الباب ، وأعيد بناؤه عام ١٨٩٦م عندما تمت أعمال توسيع الشارع وتم بناء الرواق العباسى ، وألحقت بالأزهر عدة أروقة للمذاهب المختلفة .

أسرة محمد على .. والأزهر :

ويقول حسن عبد الوهاب فى حديثه عن الأزهر فى كتابه القيم «المساجد الإسلامية» أن للأسرة المالكة العلوية مآثر جليلة على الأزهر ، فقد وقفت الأميرة زينب هانم ابنة

محمد على باشا أوقافاً كثيرة للإنفاق على الأزهر ، تقدر وقتها بعشرين ألف جنيه . كما وقفت الأميرة جميلة هانم ابنة الخديو اسماعيل أوقافاً عظيمة .

ويذكر لمحمد على باشا الكبير أنه أجرى إصلاحات بالأزهر عام ١٨٠٥م ؛ أى فى بدايات حكمه وأنشأ به رواق السنارية بالتماس قدمه الشيخ محمد وداعة السنارى المنسوب إلى سنار. وكان موضع رواق الحنفية بيوت مملوكة لأصحابها فاشتراها عباس باشا الأول والى مصر بعد إبراهيم باشا ، وأمر بهدمها ليبنى مكانها رواقاً لأهل بلد الشيخ إبراهيم البيجورى شيخ الأزهر ، ولكن عباس قتل قبل إتمام هذا العمل فأتمه السيد أبو بكر راتب باشا .

أما الوالى سعيد باشا ففى عهده تم ترميم وتجديد المسجد .

وأمر الخديو إسماعيل بتجديد باب الصعايدة الذى أنشأه الأمير عبد الرحمن كتخدا ، بينما اهتم ابنه الخديو توفيق بتجديد إيوان عبد الرحمن كتخدا أو قسم كبير من الإيوان الشرقى القديم ورواق الصعايدة ورواق الحرمين والعقود حول الصحن. وفى عام ١٨٩٠م أى بعد عامين فقط من هذه الأعمال ، تم تجديد عقود وأكتاف الإيوان الغربى وعمرت القبة الفاطمية .

وفى عهد ابنه الخديو عباس حلمى الثانى ، كانت أعمال التجديد قائمة فأدى فيه فريضة الجمعة فى شهر جمادى الأولى ١٣١٠هـ ـ ١٨٩٢ م ، وأمر باستمرار أعمال الترميم كما أمر بإصلاح الحواجز الخشبية وكتب عليها أنها جددت فى عهده. كما أنشأ الخديو عباس حلمى عام ١٨٩٦م مكتبة الأزهر مكان المدرسة الإقبغاوية التى تم إصلاحها ، وتم جمع الكتب من أروقة الأزهر وغيرها ، وتم إيداعها بهذه المكتبة . كما تم اعتبار بقايا المدرسة الطيبرسية ملحقاً للمكتبة ، وإن ظل لبعض الأروقة مكتبات خاصة بها تضم كتباً نادرة .

وبعد تمام إنشاء مكتبة الأزهر الجديدة تم جمع الكتب المبعثرة ، ثم أهديت لها مكتبات سليمان باشا أباظة وأحمد باشا راشد ومختار باشا الغازى ومعظم شيوخ الأزهر

وعلمائه ، وبهذه المكتبة أكثر من ١٠٠ ألف مجلد. كما أنشأ الخديو عباس الرواق العباسى الذى افتتح عام ١٨٩٨م.

وفى عصر الملك فؤاد الأول اكتشف المحراب الفاطمى القديم فتم إصلاحه ، ثم أصدر الملك عام ١٩٣٠م أوامره بإنشاء كليات أصول الدين والشريعة واللغة العربية . وفى ستينيات القرن العشرين تم وضع نظام جديد للتدريس فى الجامع الأزهر فيما سمى بتطوير الأزهر فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر ، بإنشاء كليات الطب والتجارة والدراسات الإسلامية وغيرها . . وقبيل نهاية القرن العشرين ، وفى عصر الرئيس حسنى مبارك تمت أعمال كبيرة للصيانة مع تجديد شامل لمبانى الجامع الأزهر . . وتم نقل مقر مشيخة الأزهر إلى مبنى حديث أقيم فوق تلال الدراسة ، وإنشاء الكليات الجديدة ومقر الجامعة فى مدينة نصر ، وظلت الكليات القديمة فى موقعها القديم حول الجامع الأزهر وكذلك مدينة البعوث الإسلامية ، مع إنشاء مبانٍ جديدة لسكنى طالبات الجامعة فى مدينة نصر .

وتظل هناك علامات بارزة فى تاريخ الأزهر . . منها الدور الكبير لمقاومة الحملة الفرنسية على مصر بين عامى ١٧٩٨ و١٨٠١م حتى اقتحمت الخيل الأزهر . . وكان لعلماء الأزهر دورهم الكبير فى وضع محمد على باشا والياً على مصر عام ١٨٠٥م، ثم الدور الشعبى الكبير لطلبة وعلماء الأزهر خلال الثورة الشعبية الكبرى عام ١٩١٩م ، عندما خطب علماء وشيوخ الأزهر فى الكنائس . . وخطب القسس وفى مقدمتهم الأب جرجريوس من فوق منبر الأزهر دعوة ودعماً لثورة الشعب الأولى ضد الاحتلال.

مشهد الإمام .. وشى الله يا حسين :

منطقة حى الحسين من أصغر أحياء القاهرة المحروسة . . وحى كله يتحلق فى دائرة صغيرة حول المسجد والمشهد الحسينى ، وكأن الناس يريدون أن يلتصقوا بصاحب المشهد الحزين تقرباً وطلباً للشفاعة فهو ابن بنت النبى ﷺ . ولعشق المصريين للإمام

الحسين كانوا يحرصون على زيارة مشهد الإمام الحسين . . ولهذا نجد الكثير من الخانات التى هى فنادق ولوكاندات أيام زمان . . كما نجد منذ بداية القرن العشرين عديدًا من اللوكاندات الصغيرة ورخيصة السعر. كما كان لقرب حى الحسين وملاصقته للأزهر ولحى القصبة حيث دائرة النشاط الاقتصادى لمصر كلها . كان لكل هذا أثره فى أن يصبح هذا الحى مع حى الأزهر المركز التجارى لمصر، وكانت تباع فيه وتشترى كل السلع المصرية أو الواردة من الشام والسودان والمغرب. وحى الحسين محصور بين الأزهر والغورية وخان الخليلى وبيت القاضى .

ويحب كل المصريين الإمام الحسين ، ويحرصون على زيارة مشهده ، ليس فقط لأنه حفيد رسول الله ، ولكن بسبب الظلم الذى وقع له حتى سقط شهيداً فى كربلاء ، ومثل الأمويون بجثته وقطعوا رأسه . فما حكاية الإمام الحسين الذى وضع اسمه على واحد من أشهر أحياء القاهرة المحروسة ؟! .

هو ابن على بن أبى طالب ، ولد فى شعبان من السنة الرابعة للهجرة ، وأذن الرسول الكريم ﷺ ، فى أذنه . . وسماه حسيناً ، وهو وأخوه الحسن سيدا شباب أهل الجنة . أمه السيدة فاطمة بنت الرسول الكريم ﷺ ، وكجزء من الصراع السياسى نشب الصراع رهيباً بين البيت الأموى وبين معارضيه . . وكان أشد ما يكون مع آل البيت ، وفى مقدمتهم الحسين بن على ، رغم تنازل الحسن لمعاوية . . ولما مات معاوية كتب أهل الكوفة إلى الحسين يسألونه القدوم إليهم وبايعوه فصدقهم وسافر من مكة إلى العراق ، ووقعت معركة كربلاء وسقط الحسين شهيداً فى كربلاء فى شهر المحرم من عام ٦١هـ ، بعد أن تآلبت عليه جيوش عبد الله بن زياد والى الكوفة ، وأصابه سهم فى فمه، ثم قطعوا رأسه ، وكذلك رؤوس ٧٢ من رجاله وعشيرته ، وبعث قادة جند الأمويين بالرؤوس إلى والى الكوفة .

وتم دفن جسد الحسين ومن معه فى اليوم الثانى فى كربلاء ويعرف قبره إلى اليوم بمشهد الحسين هناك ، وأرسل الأسرى ومعهم رأس الشهيد الحسين إلى دمشق حيث يزيد بن معاوية . فلما وضع الرأس بين يديه بكى ، ثم أمر بإرسال النساء والأطفال

مكرمات إلى المدينة المنورة ، وبعث برأس الشهيد إلى واليه فى المدينة عمرو بن سعيد فكفنها وأمر بدفنها بالبقيع قرب أمه وأخيه الحسن. وقيل إن الرأس الكريم أعيد إلى الجسد بعد ٤٠ يوماً ودفن معه فى كربلاء . وقيل إن الرأس دفن عند باب الفراديس بدمشق . وقيل إن الرأس وضع بخزانة السلاح بدمشق وبقى بها حتى ولى سليمان ابن عبد الملك عام ٩٦هـ ـ ٧١٤م ، فحمل الرأس فى ثوب وعطره وصلى عليه ودفنه فى مقابر المسلمين. وقيل إن القبر نبش بعد ذلك وأخذ منه الرأس ، ويروى أن الرأس نقل بعد ذلك إلى عسقلان ، إلى أن زارها بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر بالله عام ٤٨٤هـ ـ ١٠٩١م ، فأرشدوه عن مكان الرأس فأخرجه وأنشأ عليه مشهداً كبيراً.

ويقال إن أبا مسلم الخراسانى بعد أن استولى على دمشق نقل الرأس منها إلى مرو فدفن بها فى دار الإمارة . ولهذا السبب نجد مشاهد عديدة باسم الحسين فى مدن عديدة من مرو شرقاً إلى حلب إلى دمشق إلى عسقلان فى فلسطين. ويقال إن الرأس الكريم كان فى عسقلان ، فلما استولى الصليبيون على المدينة خافوا عليها ، وتم نقل الرأس إلى القاهرة ودفن بها فى المشهد المعروف الآن بمصر. . وتناول موقع الرأس كثير من المؤرخين ، حتى قيل إن الرأس حمل إلى القاهرة فوصل إليها يوم الأحد ٨ جمادى الآخرة عام ٥٤٨هـ ـ ١١٥٣م ، ويقول القلقشندى إن الرأس نقل من عسقلان إلى القاهرة عام ٥٤٩هـ ـ ١١٥٤م ، وأخذ ابن إياس بنظرية مشهد عسقلان ونقل الرأس إلى مصر .

المشهد الحسينى بالقاهرة ووصول الرأس إلى مصر :

عندما وصل الرأس الشريف من عسقلان إلى القاهرة عام ١١٥٣م حمل فى سرداب إلى قصر الزمرد ، ثم دفن فى قبة المشهد الذى أنشىء خصيصاً له عام ٥٤٩هـ ـ ١١٥٤م ، ولما تولى صلاح الدين حكم مصر عام ١١٧١م أنشأ مدارس للمذاهب الأربعة ، منها مدرسة بجوار هذا المشهد. وهذا يعنى كما يقول العلامة حسن عبدالوهاب أن المسجد الحالى أقيم مكان تلك المدرسة لوجود الضريح خلف جدار المحراب .

وفى عام ١٢٣٥م بدأ أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزرزور فى إنشاء منارة على باب المشهد، أتمها ابنه بعد عام ، وهى المنارة الحافلة بالزخارف الجصية فوق الباب الأخضر.

ثم زاد فى البناء وزير الصالح نجم الدين أيوب ، ولكن فى عام ١٢٤٨م حدث حريق بالمشهد ، فتم إصلاح ما حدث.

وتوالت أعمال العناية على مر الزمن خصوصاً فى فترة حكم العثمانيين لمصر إلى أن جدده الأمير عبد الرحمن كتخدا عام ١٧٦١م.

وعندما قرر عباس الأول والى مصر توسيع المسجد ، اشترى المبانى الملاصقة له وهدمها وبدأ البناء ولكنه توفى. إلى أن أمر الخديو إسماعيل عام ١٢٧٩هـ ـ ١٨٦٢م بتجديد المسجد وتوسعته ، وتم فتح السكة الجديدة ورأى ترك القبة على حالها ، ونقل إليها منبراً جميلاً كان فى جامع أزبك من ططخ بالأزبكية ، واشترى من ماله الخاص أعمدة رخامية من إستانبول. وتم بناء المسجد عام ١٢٩٠هـ ـ وبناء المنارة عام ١٢٩٥هـ (١٨٧٣ ـ ١٨٧٨م) وأمر بعمل ستر مزركش له. وفى عام ١٨٨٥م تم كساء المحراب بالقاشانى ، ثم أمر الخديو عباس حلمى الثانى بإعادة نقوش القبة وفتح نوافذ جديدة بها ، ثم جدد الملك فؤاد الأول ستر المشهد ، وفى عهد الملك فاروق تم إصلاح أرضية القبة وأخرج التابوت الخشبى النادر وتم إصلاحه .

ولم يبق من المشهد الفاطمى إلا الباب الأخضر المبنى بالحجر ، وتخلف من المنارة الأيوبية التى أنشأها الزرزور القسم الأسفل منها .

وأهم ما بقى من المشهد القديم التابوت الخشبى ، الذى كان محتجباً تحت المقصورة، وهو تابوت موشى بالذهب والفضة وظل محتجباً عن الأنظار ٨ قرون ، ولم يسعد برؤيته إلا السيد محمود البيلاوى والسيد محمد البيلاوى . ويقول حسن عبد الوهاب ـ آخر من شاهد التابوت ـ إنه لما أمر الملك فاروق بوضع رخام جميل مكان قاشانى أرضية المقصورة . وعند كشف أرضية القبة انتهز الفرصة يوم ١١ سبتمبر

١٩٣٩م ، وهبط أسفل المقصورة ومعه محمد عرفة فبهرته صناعة التابوت ، ووجد التلف أصابه فصوره وعرض الأمر على لجنة حفظ الآثار العربية ، وأخرج التابوت وتم إصلاحه وإعادته إلى مجده الفنى ، ثم أودع دار الآثار العربية فى ٢٢ يناير ١٩٤٥م .

وهذا التابوت مصنوع من خشب الساج الهندى ، مكون من جنب ورأسين محاط بكتابات بالخط الكوفى والنسخ الأيوبى . وواضح أن صلاح الدين الأيوبى هو الذى أمر بصنع هذا التابوت .

وداخل المشهد الحسينى حجرة لحفظ المخلفات النبوية أنشئت عام ١٣١١هـ ـ ١٨٩٣م مجاورة للقبة ، وتشمل هذه الخزانة من الآثار النبوية : قطعة من القميص الشريف للرسول ﷺ ، ومكحلة ومرودين . وقطعة من العصا الشريفة وشعرتين من اللحية الشريفة . . وبها مصحفان كريمان بالخط الكوفى أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والآخر بخط الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . . «وكان الخديو عباس حلمى الثانى هو الذى أمر بإنشاء حجرة المخلفات النبوية هذه .

ومصحف عثمان بن عفان تجاوزت أوراقه الألف ، ومكتوب على رق بالخط الكوفى البسيط الخالى من الإعجام والشكل ، وبكل صفحة ١٢ سطراً وحليت رؤوس السور بإفريز زخرفى . وأول المصحف مهلهل وعلى حافاته إحمرار يقال إنه دم عثمان . . وهذا غير صحيح ، كما يقول حسن عبد الوهاب . وبعد ثورة يوليو ١٩٥٢م اهتمت الحكومة بالمسجد وتم تجديده وزيادة مساحته لتصل إلى ٣٣٤٠ متراً مربعاً ، بعد أن كانت مساحته ١٥٠٠ متر فقط ، وأضيف للمسجد مبنى من دورين لإدارته يقع فى الجهة الشرقية بجوار غرفة المخلفات ، كما أنشئت مكتبة خاصة بالمسجد مساحتها ١٤٤ متراً مربعاً .

وأزيلت المبانى التى كانت تحجبه عن الميدان ، وعملت واجهة جديدة للجامع ليصبح طولها ٤٥ متراً وعرضها ٨ أمتار . وصنع منبر جديد من الخشب العزيزى والجوز

التركى والزان ، وأقيمت دورة مياه جديدة فى الجهة البحرية . وقد أهدت طائفة البهرة للمسجد مقصورة من الفضة ، رصعت بفصوص من الماس عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م .

أما حجرة التابوت فتقع فى الطبقة الثالثة من أرض القبة ، وقد وضع الرأس فيها على كرسى من الأبنوس. وهى ملفوفة فى برنس أخضر ، وحولها نحو نصف أردب من الطيب الذى لا يفقد رائحته بتوالى السنين . وفوق الحجرة طبقة أخرى يسلك إليها من فجوتين على كل فجوة باب متين ، والحجرة مسقوفة بقضبان من الحديد الصلب .

وقبل أن نترك حى الحسين ، نقول إن هناك مسجداً بالقرب منه هو مسجد العدوى الواقع بعطفة الشنوانى المتفرعة من شارع السكة الجديدة بجوار المشهد الحسينى . وكان يشغل هذه البقعة دار الست زينب بنت السلطان قلاوون ، التى آلت بعد ذلك إلى وقف سيدنا الحسين، فلما تخربت اشتراها الشيخ حسن العدوى من ديوان الأوقاف وبنى الجامع على جزء منها . وكان يوجد بجوار هذه الدار ضريح الشيخ الشنوانى ، وعدة أضرحة أخرى أدخلها الشيخ العدوى فى حدود جامعه ، بعد أن جددها وأقام عليها مقصورة كما بنى لنفسه مدفنين. وأنشأ فى الجزء الباقى من دار بنت السلطان حماما للرجال والنساء ، ووقفه على الجامع وبنى ربعاً على باب الميضأة وأقام بقرب الحمام داراً لسكنه بقرب الباب الأخضر .

والشيخ العدوى الذى أنشأ هذا المسجد عام ١٢٨٣هـ هو حسن العدوى الحمزاوى ، أحد علماء المالكية بالأزهر ، ولد فى قرية عدوة من قرى مغاغة بالمنيا عام ١٢٢١هـ فنسب إليها . وعدوة يشتهر أهلها بزراعة الكتان ، وكانت تكثر بها قاعات الغزل والنسيج ، ويوجد فى عدوة مسجد كبير أنشأه أيضاً الشيخ حسن، الذى تلقى علومه فى الأزهر ثم تولى التدريس فيه وعمره ٢١ عاماً . وللشيخ تاريخ مجيد أيام الخديو إسماعيل والخديو توفيق . وكان الشيخ حسن من أبطال الثورة العرابية وحوكم بتهمة أنه أفتى بخلع توفيق ، وبسبب شجاعته هذه تم نفيه ـ بعد محاكمة العرابيين ـ إلى

قريته عدوة . وعندما توفى عام ١٣٠٢ هـ دفن بالضريح بجوار ضريح الشيخ الشنوانى .

ويبقى أن نقول إن باب الديلم ، وهم من قبائل المغرب التى فتحت مصر مع جوهر الصقلى ، مكانه الآن المشهد الحسينى .

وبسبب الجو التاريخى والشرقى فى هذا الحى العريق يحلو للقاهريين أن يمضوا سهراتهم خصوصاً فى شهر رمضان حول الحسين وبالقرب من مشهده . وفى شوارع خان الخليلى الضيقة فيه ، ومن أشهر مقاهيه نجد مقهى الفيشاوى الذى بدأت فى عشرينيات القرن العشرين واشتهر بتقديم الشاى الأخضر مع الشيشة .

وتشتهر هذه المنطقة برائحة البخور الشرقى الجميل ، التى تضيف على الحى شيئاً من عبق التاريخ .

وللمصريين عشق كبير بالصلاة فى مسجد الإمام الحسين ، وبالذات صلاة الفجر فى شهر رمضان الكريم .

المثلث المبارك :

●● ونصل إلى حى السيدة عائشة الذى يتوسطه الجامع الذى يحمل الحى اسمه . . وقد أقيم هذا الجامع فى أقصى نقطة عمران فى شرق القاهرة ، وهو على حافة المدينة ويطل على مقابرها . . ويفصل ميدان السيدة عائشة عن ميدان صلاح الدين «قره ميدان» خط سكة حديد المحاجر ، ثم القلعة وبينهما منطقة عرب آل يسار. وشرق جامع السيدة عائشة بجنوب ، نجد مقابر المماليك ومنطقة أبو سبحة. أما جنوبى الجامع فنجد شارع الزرايب ومنطقة الزرايب وباب القرافة. وفى الغرب نجد جامع سيدى على البقلى وشارع البقلى ودرب الحصر لنصل إلى جامع السيدة سكينة غرباً ؛ حيث يتوسط الجامع منطقة جامع السيدة عائشة وموضع مدينة القطائع وجامع ابن طولون وقلعة الكبش وجبل يشكر . .

هذه هى معالم حى السيدة عائشة ، كما جاءت فى خريطة مطبوعة فى أول القرن العشرين .

ويمكن أن نتحدث هنا عن مثلث مبارك ، يمتد من جامع السيدة عائشة فى الشرق وجامع السيدة سكينة فى الغرب وجامع السيدة نفيسة . . ثم جبانة السيدة نفيسة للمسلمين . وفى الغرب من كل هذا نجد شارع الخليفة وامتداد شارع الأشرف ، وفى الشرق نجد مجرى العيون ، أما جنوب كل هذا فنجد جبانة الإمام الشافعى . وإذا تركنا هذا المثلث المبارك واتجهنا غربا ، نجد تلول زينهم جنوبى موقع مدينة القطائع وقلعة الكبش . وهذا المثلث يقودنا غرباً إلى حى السيدة زينب لنجد أهم الشوارع الطولية ، شارع السد البرانى ثم شارع طولى آخر هو شارع زين العابدين الذى يصب فى سكة المدبح ويتوسط حى البغالة .

أما الشوارع العرضية من جنوب شارع مراسينه . . فنجد شوارع سلامة والشيخ البغال وحارة الشيخ سليم وشارع التلول وشارع ممتاز ، وبعد أن نعبر سكة المدبح غرباً نصل إلى عشش زينهم . ومن سكة المدبح ننزل إلى شارع السلخانة فميدان السلخانة فالمدبح نفسه . وبين سكة المدبح وشارع السلخانة نجد جامع سيدى على زين العابدين .

واللافت للنظر أننا نجد جنوب عشش زينهم ، وغير بعيد ، عن جامع زين العابدين ، وحول المدبح نجد جبانة الأرمن وجبانة الأقباط الارثوذكس وجبانة الإفرنج الكاثوليك القديمة وجبانة البروتستانت القديمة وجبانة الإفرنج الكاثوليك الجديدة شرق شارع سيدى حسن الأنور الذى يؤدى إلى جامع حسن الأنور شرقى فم الخليج . وبين عشش زينهم نجد حى الديورة وسط كل هذه الجبانات ، وقبل أن نصل إلى فم الخليج .

ولكن ما صورة هذا المثلث بعد ٤٠ عاماً من الخريطة السابقة ؟

نجد العمران زاد وانتشر شرقاً وجنوباً وغرباً ، رغم أن سجن المنشية مازال موجوداً

جنوب ميدان صلاح الدين «قره ميدان» ، فشارع الإمام الليثى يمتد جنوبا بعد أن يعبر حوش الباشا الذى يصب فيه شارع السيدة نفيسة . وشرق كل هذا نجد شارع الإمام الشافعى .

وجنوب مسجد السيدة عائشة نجد باب القرافة وباب قايتباى وظل شارع البقلى فى الغرب، وغربه شارع الركبية وامتداده شارع الخليفة فشارع الأشرف . وكان كل هذا موجوداً منذ خريطة أوائل القرن العشرين شرق جامع السيدة سكينة وجنوب باب السيدة نفيسة . ونجد تلول زينهم تتقلص ؛ إذ يزحف العمران عليها شمالاً من حى طولون وغربا من زين العابدين ، كما هى بالأسماء نفسها . . أما الأحياء فتبقى كما هى بأسمائها .

وفى حى زين العابدين تستمر المسميات ، ونجد شارع زين العابدين يصل بين ميدان السيدة زينب إلى أن يصب فى سكة المدبح . وفى الشرق من هذا كله نجد باب طولون .

ونصل إلى المثلث المبارك فنجد فى ميدان السيدة عائشة ، تم بناء كوبرى معدنى علوى ؛ لتعبر عليه حركة المرور ، بعد أن زادت الحركة على محور طريق صلاح سالم . وتتضح أكثر معالم هذا المثلث ، فنجد حى الخليفة وقد ازدادت فيه حركة العمران . . فنجد شارع الإمام الشافعى وغربه شارع الإمام الليثى ثم شارع السيدة نفيسة فشارع عين الصيرة ، بينما تظل سكة حديد حلوان ـ المحاجر ـ فإذا انتقلنا إلى السيدة زينب والبغالة نجد شوارع السد البرانى ، بعد أن يعبره كوبرى فم الخليج العلوى ويتقاطع معه شارع بيرم التونسى ، الذى يصل إلى حى زينهم ، وشمالاً نجد شارع عبد المجيد اللبان وشارع قدرى ، ويبدأ شارع بورسعيد من عند شارع السد البرانى من ميدان السيدة زينب نفسه .

وفى خريطة طبعتها مصلحة المساحة عام ١٩٦٢م ، وأعيد طبعها عام ١٩٨٤م ، نجد جامع ومقام سيدى على زين العابدين يتوسط مستطيلاً ضلعه الشمالى شارع بيرم

التونسى ، وضلعه الجنوبى شارع ابن يزيد ، وضلعه الغربى شارع السلخانة والمدبح القديم نفسه . أما الضلع الشرقى والجنوبى ، فيصل الى شارع مجرى العيون . أما شارع زين العابدين ، فيبدأ من ميدان السيدة زينب شرق جامع ومقام السيدة زينب بين الجامع غرباً وقسم شرطة السيدة شرقاً . أما حارة سيدى زينهم فتبدأ من شارع الشيخ البغال ، وتتجه جنوباً إلى أن تصل إلى شارع بيرم التونسى . وفى أقصى الشرق من السيدة زينب ، نجد مسجد أحمد بن طولون وشارع طولون .

ولكن من هى السيدة عائشة ؟

هى بنت جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام على زين العابدين ابن الإمام الحسين بن على . . وهى أخت الإمام موسى الكاظم رضى الله عنه . وكانت من العابدات المجاهدات .. وكانت تقول مخاطبة المولى عز وجل : وعزتك وجلالك لئن أدخلتنى النار لآخذن توحيدى بيدى وأطوف به على أهل النار ، وأقول لهم : وحدته فعذبنى !! وقد توفيت عام ١٤٥هـ . .

وهناك إجماع على وجودها بمصر . يقول ذلك ابن الزيات ، وهو خير من ألَّف فى أعلام القرافتين الكبرى والصغرى . وتبعه السخاوى فى كتابه « تحفة الأخبار » فى القول إنها بمصر ، وأنه عاين قبرها فى تربة قديمة على بابها لوح رخامى مكتوب عليه : هذا قبر السيدة الشريفة عائشة من أولاد جعفر الصادق. توفيت عام ١٤٥هـ . وقال الشعرانى فى متنه : أخبرنى سيدى على الخواص أن السيدة عائشة فى المسجد الذى له المنارة الصغيرة على يسار من يريد الخروج من الرميلة إلى باب القرافة ، وكل هذا يؤكد أنها شرفت مصر وتوفيت عام ١٤٥ هـ ـ ٧٦٢م

●● أما مسجد السيدة عائشة ، فقد أنشأه الأمير عبد الرحمن كتخدا عام ١١٧٦هـ ـ ١٧٦٢م وكانت له عناية كبيرة بالمشاهد المنسوبة إلى آل البيت . ولهذا المسجد واجهة غربية اشتملت على بابين ، تقوم بينهما المنارة والباقى منها دورتها الأولى . ومن هذا الباب يتوصل إلى داخل المسجد . وقد عمر المسجد عام ١٣١٤هـ ـ ١٨٩٦م ، أما

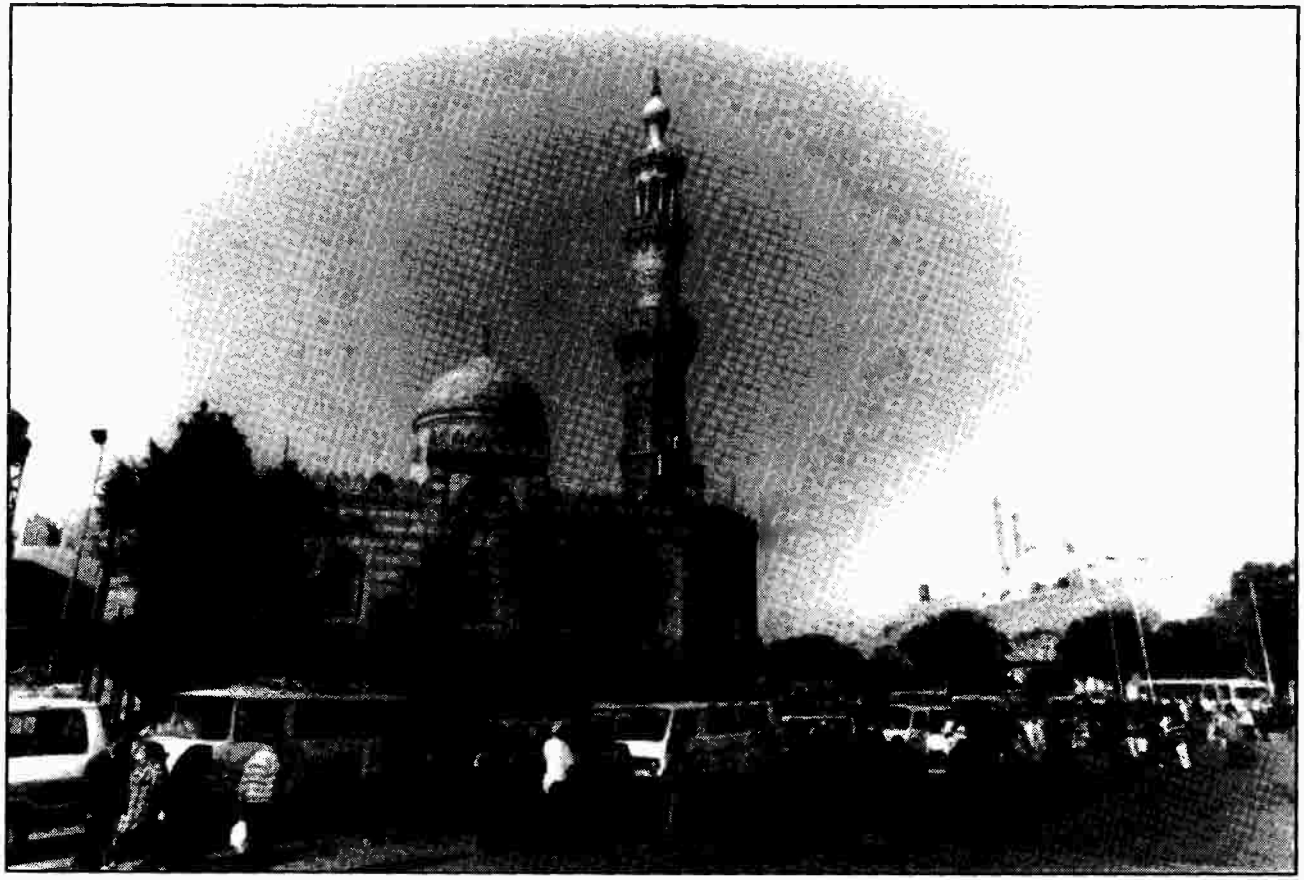

مسجد السيدة عائشة فى ظلال القلعة ومسجد محمد على باشا فى الحى الذى يحمل اسمها .

مسجد السيدة سكينة .

الباب الثانى فتوجد على يساره المنارة . وهذا الباب يؤدى إلى طرقة على يسارها باب ، له عقد تحيط به كرانيش متعرجة ، يؤدى إلى المسجد ، وبصدرها القبة التى فرشت أرضيتها بالرخام الملون ، وتتوسطها مقصورة خشبية حول القبر الشريف . ومن المرجح وجود حجرة تحت أرضية هذه القبة تضم تابوتاً أثرياً، كما هو مألوف فى كثير من المشاهد ، ففى عام ١٩١٣م قامت لجنة حفظ الآثار العربية بفحص قبة محمد الأنور بشارع الخليفة ، وكانت من القباب الفاطمية ، وتبين أنها لما جددت عام ١١٩٥هـ - ١٧٨١م ، احتفظ بقاعدة القبة القديمة وبالقبر بها ، وعملت أرضية جديدة .

ويؤكد أحمد زكى باشا - كما يقول الأثرى حسن عبد الوهاب - أن المشهد القائم فى هذا المكان باسم السيدة عائشة النبوية هو حقيقة متشرف بضم جثمانها الطاهر . ولما أدى الملك فاروق فريضة الجمعة يوم ٨ المحرم عام ١٣٥٩هـ - ١٦ فبراير ١٩٤٠م ، أمر بإصلاح المسجد والعناية به ، فتم إصلاح الأبواب ودكة المبلغ وعمل منبر له ونقشت سقوفه ، وأحيطت جدران المسجد بوزرة خشبية ملونة تقليداً للرخام .

وقد ظل قبر السيدة عائشة حتى القرن السادس الهجرى مزاراً بسيطاً ، يتكون من حجرة مربعة تعلوها قبة ترتكز على صفين من المقرنصات . أما فى العصر الأيوبى فقد انشئ بجوار القبة مدرسة ، وعندما أحاط صلاح الدين عواصم مصر الأربع بسور واحد ، فصل هذا السور قبة السيدة عائشة عن بقية القرافة ، فرأى صلاح الدين أن يقيم بجانب القبة مدرسة ، كما أنه فتح فى السور باباً سماه باب السيدة عائشة وهو المعروف بباب القرافة .

والمسجد الآن بشارع السيدة عائشة عند بداية الطريق الموصل إلى مدينة المقطم . وقد تهدم المسجد القديم فأعاد بناءه الأمير عبد الرحمن كتخدا فى القرن ١٨م .

●● ونصل إلى السيدة سكينة . . فمن هى ؟

هى السيدة آمنة بنت الحسين بن على بن أبى طالب ، أمها رباب بنت أمرئ القيس

بن عدى بن ثاو سيد بنى كلب . ولدت عام ٤٧هـ وسميت باسم جدتها أم سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم لقبتها أمها رباب باسم سكينة لأن نفوس أسرتها كانت تسكن إليها لفرط مرحها وحيويتها .

بدأت شخصية السيدة سكينة تظهر فى مكة ، عندما بلغت الثالثة عشرة من عمرها، فحين أقبل موسم الحج عام ٦٠هـ كانت سكينة قبلة الأنظار لحسنها وأناقتها الساحرة حتى صارت مثلاً يحتذى ، ولكن هذا لم يلهها عن التعبد الذى يصل إلى درجه الاستغراق . وخرجت سكينة من المدينة مع والدها الحسين عام ٦٠هـ يريد الكوفة ليجاهد بأهلها ضد الطغيان الأموى . وبعد استشهاد الحسين وأصحابه فى كربلاء ، ساق زياد بن أبية والى الكوفة السيده سكينة مع بقية نساء آل البيت إلى دمشق سبايا إلى الخليفة يزيد بن معاوية ، ثم عادت إلى المدينة لتعيش مع أمها رباب التى ماتت بعد عام .

واختلفت الروايات عن أزواج السيدة سكينة ، وإن اتفقت على ثلاثة هم : مصعب بن الزبير . . ثم عبد الله بن عثمان بن عبد الله . . ثم زيد بن عمرو بن عثمان ابن عفان .

وكانت سكينة سيدة المجتمع الحجازى ، كما تقول الدكتورة سعاد ماهر فى كتابها «مساجد مصر » . وكانت السيدة سكينة هى أول من استنت فكرة الصالونات الأدبية ثم تبعتها سيدات قريش ، وامتازت ندواتها بالعلم و الشعر والأدب الرفيع ، وكان الرجال يحتكمون إليها .

وماتت السيدة سكينة عام ١١٧ هـ ، وخرج نعشها ، وأمر أمير المدينة الأموى أن يؤخروا الصلاة عليها حتى يحضر ، وجلس الناس حولها حتى العشاء ولم يحضر الأمير فصلوا عليها جماعات ، وفى صباح اليوم الثانى دفنوها ودفنوا معها العلم والأدب والفن .

وضريح السيدة سكينة يقع بحى الخليفة فى شارع يحمل اسمها ، واختلف المؤرخون

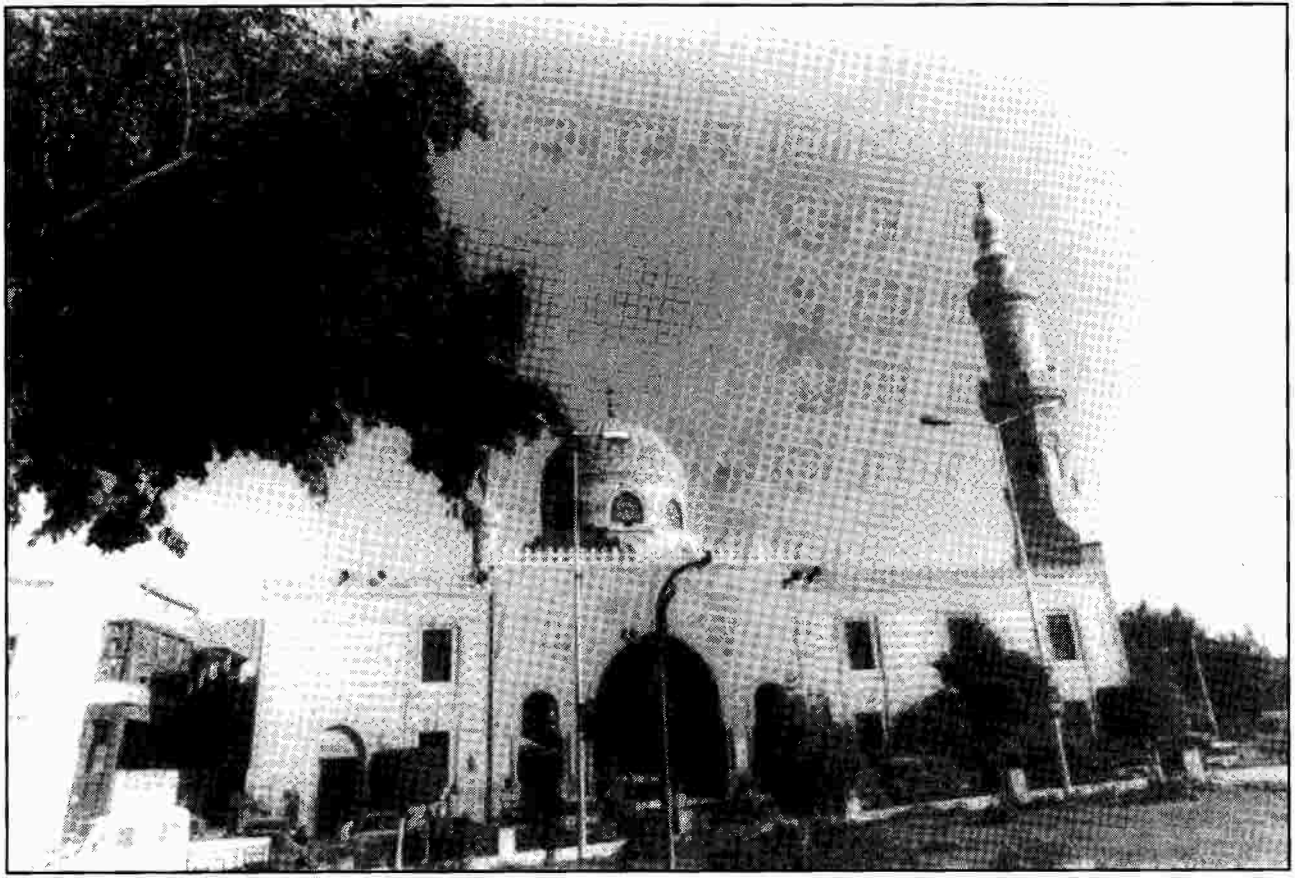

مسجد السيدة نفيسة فى الحى الذى يحمل اسمها .

فى صحة وجودها به . والذين يقولون بوجودها فى مصر يعتمدون على رواية أن والى مصر من قبل الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان خطبها فجاءت إلى مصر ، وهى أول من دخلها من نسل الإمام على كرم الله وجهه ، ثم عادت إلى المدينة المنورة . ويقولون إنها جاءت مصر مع عمتها السيدة زينب ، وقالت الدكتورة بنت الشاطئ إنها ترى أن السيدة سكينة قد عادت إلى الحجاز بعد وفاة عمتها زينب عام ٦٢هـ .

وإذا كانت قد شاعت أن يلجأ الناس إلى الأضرحة يتلمسون بركة آل البيت ويواجهون المحن والبلاء . . فإن هناك ما يعرف باسم أضرحة الرؤيا ، فإذا رأى ولى من الأولياء فى منامه رؤيا مؤداها أن يقيم مسجدا أو ضريحاً لأحد من آل البيت المسمى فى الرؤيا ، كان عليه أن يقيم المسجد أو الضريح باسمه .

●● ونصل الى السيدة نفيسة :

هى ابنة الإمام الحسن الأنور بن زيد الأنلج ابن الإمام الحسن بن على بن أبى طالب، ولدت بمكة عام ١٤٥هـ ، ونشأت بالمدينة المنورة ، وكانت لاتفارق حرم الرسول عليه السلام . حجت ٣٠ حجة أدت معظمها ماشية ، وكانت تبكى بشدة وتتعلق بأستار الكعبة . قالت عنها ابنة أخيها إنها خدمت عمتها نفيسة ٤٠ عاماً فما رأتها نامت الليل ولا أفطرت بنهار . . وكانت تحفظ القرآن وتقرأ تفسيره وهى تبكى. وزارت مع زوجها قبر إبراهيم الخليل ، ثم رحلا معاً إلى مصر فى رمضان ١٩٣ هـ ، وكان لقدومها إلى مصر أمر عظيم تلقاها الرجال و النساء بالهوادج من العريش ، وقد أحبها أهل مصر حباً جماً ، ويعتقدون فى كراماتها ؛ فكانوا إذا نزل بهم أمر جاءوا إليها يسألونها الدعاء . وبسبب ازدحام الناس حول بيتها ، فكر زوجها أن يرحل معها إلى الحجاز ، ولكنها قالت له إنها رأت فى المنام رسول الله ﷺ يقول لها : لاترحلى من مصر، فإن الله تبارك وتعالى متوفيك بها . .

وكانت السيدة نفيسة تتناول أكلة واحدة كل ثلاثة أيام ، وأقامت السيدة نفيسة

بمصر ٧ سنوات . وفى شهر رجب ٢٠٨ هـ مرضت . ولما أحست بدنو أجلها ، كتبت إلى زوجها إسحق المؤتمن كتاباً ، وحفرت قبرها بيدها فى بيتها . وكانت تنزل فيه وتصلى كثيراً . وقرأت فيه ١٩٠ ختمة . وكانت إذا عجزت عن القيام تصلى قاعدة وتسبح وتقرأ كثيراً وتبكى بشدة . ولما حانت الساعة ، وكان ذلك أول جمعة من شهر رمضان ، قرأت سورة الأنعام ، وكان الليل قد هدأ ، فلما وصلت الى قوله تعالى (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) غشى عليها فضمتها زينب ابنة أخيها إلى صدرها فشهدت شهاده الحق وتوفيت إلى رحمة الله . .

وأراد زوجها أن يحملها إلى المدينة ليدفنها فى البقيع ، فاجتمع أهل مصر إلى الوالى عبدالله بن الحكم واستجاروا به عند زوجها ليرده فأبى . فجمعوا له مالاً وفيراً حتى وسق بعيره وسألوه أن يدفنها عندهم فأبى . فلما أصبحوا وجدوه مستجيباً لرغبتهم ، فلما سألوه عن سبب هذا التحول ، قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لى رد عليهم أموالهم وأدفنها عندهم . »

ودفنت السيدة نفيسة بدارها بدرب السباع بين القطائع والعسكر ، التى عرفت بعد ذلك بكوم الخارجى . وكان يوم دفنها يوماً عظيماً مشهوداً ، فقد هرع أهل مصر فصلوا عليها بعد دفنها . وبعد ذلك خرج زوجها إسحق المؤتمن من مصر ، ومعه ولداه القاسم وأم كلثوم إلى المدينة حيث ماتوا جميعاً ودفنوا بالبقيع .

وكان يفد على السيدة نفيسة فى حياتها رجال الدين الإسلامى وكبار العلماء ؛ فقد زارها الإمام الشافعى ومعه الوالى عبد الله بن الحكم ، ولما مات الشافعى عام ٢٠٤ هـ أدخلت جنازته إليها فصلت عليه فى دارها ، وكانت موضع مشهدها الحالى . وقالت : رحم الله الشافعى فقد كان يحسن الوضوء . .

ولا خلاف على قبر السيدة نفيسة .

وأول من بنى على قبرها هو عبد الله بن السرى بن الحكم والى مصر الأموى ، ثم أعيد بناء الضريح فى عهد الدولة الفاطمية ؛ حيث أقيمت عليه قبة عام ٤٨٢ هـ .

وتصدعت القبة فى عهد الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله ، فجددت وكسى المحراب بالرخام عام ٥٣٢ هـ .

كما عمر الأمير عبد الرحمن كتخدا المشهد النفيسى ومسجده ، وبنى الضريح على هيئته الحالية . وجعل لزيارة النساء طريقاً بخلاف طريق الرجال عام ١١٧٣هـ ، وقد تم وقف ١٥٠ فدانا ، وكذلك عدد من الرباع والحوانيت للإنفاق عليه ؛ بالإضافة إلى حصيلة صندوق النذور .

●● ثم نصل إلى مشهد الإمام زين العابدين فى الحى الذى يحمل اسمه :

هو الإمام زيد بن على المعروف بزين العابدين ، ابن الحسين بن على بن أبى طالب ، وإليه تنسب طائفة الزيدية أكبر فرق الشيعة وأكثرها اعتدالاً وقرباً إلى أهل السنة . . وانتشرت الزيدية فى اليمن وطبرستان . وكان زيد يحدث نفسه دائماً بالخلافة ، ويرى أنه أهل لذلك ، ولما وفد على الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك آنس منه جفوة ، فكانت سبب خروجه على بنى أمية ومطالبته بالخلافة ، فسار إلى الكوفة ، ولكنه هم بالرجوع إلى المدينة فتبعه أهل الكوفة وأقنعوه بالبقاء ومحاربة بنى أمية . هنا حشد يوسف بن عمر أمير الكوفة جيوشه ووقعت معركة فانفض عنه أصحابه ، وبقى هو وفئة قليلة من أهله يقاتل قتالاً شديداً ، حتى سقط شهيداً فى شهر صفر عام ١٢٢هـ ـ ٧٣٩ م .

واختلف المؤرخون على مكان دفنه . كما اختلفوا من قبل على رأس جده الحسين . فقيل إنه حمل إلى الكوفة ، ثم أحرق وذر رماده فى نهر الفرات ، وقيل : بعث برأسه إلى هشام بن عبد الملك فنصبه على باب دمشق ثم أرسله إلى المدينة . أما الكندى فيؤكد أن الرأس جاء إلى مصر ودفن بها . وقيل إنه بعد قدوم رأسه إلى مصر ، طيف به ثم نصب على المنبر بالجامع بمصر ؛ أى جامع عمرو بن العاص عام ١٢٢هـ ، فسرق ودفن فى هذا الموضع ، إلى أن ظهر وبنى عليه مشهد فى الدولة الفاطمية .

وهناك رواية تقول إن أصحابه بعد استشهاده قرب الكوفة ، حفروا له ساقية ودفنوه فيها وأجروا الماء على قبره خوفاً من التمثيل به . ثم أُرشد عن قبره يوسف بن عمر أمير

الكوفة ، أرشده عنه حجام حضر مواراته ، فأخرجه أمير الكوفة وصلبه ثم أحرقه وذرى رماده فى الفرات . وقيل إن أمير الكوفة بعد إحراقه ذرى نصفه فى نهر الفرات ، ونصفه فى المزارع ، وقال الأمير يوسف بن عمر : والله يا أهل الكوفه لأدعنكم تأكلونه فى طعامكم (يقصد الزرع) وتشربونه فى مائكم (يقصد مياه الفرات) .

ومشهد زين العابدين عرف قديماً باسم مسجد محرس الخصى . . وعليه نص تاريخى يقول إنه أنشئ عام ٥٤٩ هـ .

وكان حى زين العابدين يعرف فى أوائل العصر الإسلامى باسم الحمراء القصوى ، وهى تقع إلى الشمال الشرقى من مدينة الفسطاط « مصر القديمة الآن » ، وعليها أسس العباسيون مدينة العسكر ثانية عواصم مصر الإسلامية .

والمسجد الموجود حالياً يرجع إلى أوائل القرن ١٩ الميلادى ، جدده وبنى معظم مبانيه عثمان أغا مستحفظان . ولم يعد باقياً من العمارة القديمة الفاطمية إلا عقد واحد، يوجد بالطرقة الداخلية على يمين الداخل إلى رواق القبلة . أما القبة التى تعلو الضريح ، فترجع إلى العصر المملوكى فى القرن الثامن الهجرى . وفى أواخر القرن ١٣ الهجرى ، تم عمل مقصورة جديدة للضريح ، هى نموذج لصناعة الحديد المزخرف بمصر أنشأها محمد قفطان باشا عام ١٢٨٠ هـ ـ ١٨٠٥م ، وكسا عتب باب القبة ببلاطات من القيشانى الأزرق العثمانى الجميل . وبداخله مقبرة بناها لنفسه ولزوجة عثمان أغا أمير اللواء مستحفظان مصر ودفن فيها هو وزوجته .

وأمر الملك فاروق بتحديد واجهة المسجد عام ١٩٤٤م ، وجدد معها الباب القديم مع المحافظة على تفاصيله القديمة .

ويحمل الحى كله اسم حى زين العابدين نسبة إلى الإمام زيد هذا . . بل إن الاسم الشائع ، وهو اسم زينهم وتلال زينهم أصلها أن الناس كانت تصف الإمام زيد بأنه زين الرجال . . وزين العابدين . . ومن هنا جاءت كلمة زينهم . .

***

حى زين العابدين المدبح أو المجزر الرئيسى للقاهرة قبل نقله إلى حى البساتين جنوب القاهرة .